إلى القارئ

تونس تستأنف مجلة « الفكر » نشاطها بعد عطلتها السنوية فتستهل سنتها السادسة عشرة بما عهده القراء في أسرتها من عزم وطول نفس وانقطاع كلي إلى خدمة الثقافة التونسية والمساهمة في صنع الحضارة العربية ٠

وإن من أهم ما يستوقف رجل الفكر في مجال الحياة الثقافية والنشاط التربوي خلال الأسابيع المنصرمة انشغال السيد رئيس الجمهورية بقضية التاريخ القومي وتأكيده على مزيد العناية بدرسه وتدريسه بوصفه عاملا من عوامل تركيز الشخصية القومية وتأصيل الشباب في بيئتهم وتعميق الشعور بانتسابهم إلى أمة حية في صراع دائم من أجل البقاء والاشعاع ٠

من ذلك ما صرح به سيادته بالخصوص عند رجوعه من المنستير خلال شهر أوت الماضي إذ قال : « قد يجد شبابنا من يوعز له بأن التاريخ عبارة عن خرافات فات وقتها ولم تعد صالحة لأن تستخلص منها العبرة بينما لا تكمل ثقافة الانسان إلا إذا أحاط خبرا بتاريخ بلاده ٠٠٠ وبمعرفة التاريخ يشعر المرء باعتزازه بالانتساب إلى البلاد التي أنجبته ويتجنب الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها أسلافه ٠٠٠ مع نبذ كل أسباب الخذلان حتى لا نرجع لما كنا فيه وحتى لا يطمع فينا طامع ٠٠٠ » ٠

وان هذه العناية السامية لتندرج فيما لم نزل ندعو له في سبيل ترسيخ الشخصية القومية ، وننادي به من وجوب تحوير برامج التعليم ومناهجه بحيث يضمن لشبابنا الأصالة والفتوة ، ولثقافتنا الطرافة والازدهار ، ولأمتنا البقاء والمجد ٠

إلا أن الذي يجب أن يقال ويعرف هو أنه بالرغم من أن لجانا تشكلت مرات كثيرة في الماضي قصد تجسيم هذه الغاية النبيلة ـ وآخرها بعث في ربيع هذه السنة في مستوى التعليم العالي والثانوي والترشيحي ـ فان صعوبات ـ نفسانية في أغلب الأحيان ـ كانت تحول دائما دون بلوغ القصد ٠

ذلك ان بعض الأساتذة والفنيين التونسيين ـ بله الأجانب الذين يشاركون دائما في أشغال اللجان التعليمية المختصة ـ لم يدرسوا تاريخنا دراسة قومية ولم يتفرغوا له ـ لأسباب تاريخية (!) هم غير مسؤولين عنها طبعا ! ـ بل انهم حصلوا ما حصلوا من الشهائد والدرجات العلمية بفضل ما حذقوه من المسائل التاريخية على النحو وبالمحتوى الذي تدرس به في الخارج وعلى أساس محاور ومراكز اهتمام بعيدة كل البعد عن مشاغلنا وصراعنا من أجل الأصالة وتركيز الذاتية ٠ ولئن كان أكثر هؤلاء الزملاء في مستوى علمي وبيداغوجي مرضي للغاية فانهم ـ من حيث لا يشعرون في غالب الأحيان ـ لا يتحمسون كثيرا للتخلي عما درسوه وتعودوا به وتوفرت لهم فيه كل المراجع الضرورية ، بل إنهم يقابلون سعينا بأنه ضرب من التعصب وينادون بوجوب التفتح والتمسك بحبل الموضوعية والطرائق العلمية ٠

لذلك تراهم إذا ما دعوا إلى العمل ضمن لجان مختصة يعالجون الأمر بمنطق أبي دلامة ٠ فقد قيل أن شعرة عوجاء نبتت في لحية أبي دلامة فكان يقضي الساعات الطويلة في شدها وجذبها حتى تستقيم فظلت عوجاء فقالت له زوجته : ويحك،اقطع هذه الشعرة وارحنا منها٠فأجاب : ولكن المقص أعوج!...

فلا بد إذن من يوم يستقيم فيه « مقص » أبي دلامة ولا بد من يوم ـ قريب إن شاء الله ـ تنفذ فيه التوجيهات السامية إلى عقول ـ وقلوب ـ هؤلاء الأساتذة والفنيين وإلى الشبان المغرورين ، فتغير نظرتهم وتثير حماسهم للثأر ممن دفنوا امجاد تاريخهم ، كما تغيرت نظرة التونسيين منذ ثلث قرن بفضل دعوة المجاهد الأكبر فاصبحوا يتحدون الاستعمار منذ أن آمنوا بأنهم إذا أرادوا استجاب القدر !٠٠٠ ولا بد من يوم يوفق فيه رعاة التراث وحماة الضاد والغيورون على الأوطان الى استئصال « شعرة » الاستعمار الثقافي والتمهيد إلى التفتح الحق والحوار المجدي بين الثقافات ٠

« الفكر »

تحية الى مورياك

بقلم : مصطفى الفارسي

شخصية ثابتة الاصول متشبثة جذورها بالارض لا تزعزعها الانواء ولا تجتثها مناورات المنافسين من كل صوب ··· شخصية نحتها صاحبها من الصخر فى اناة وتعنت واجتهاد ومثابرة فهى كالتماثيل البديعة تحيي المحيط الذى يحويها وان كانت جمادا لانها من معدن كريم ولان الخالق الذى سواها ارادها ناطقة فصيحة تحاور من قصدها وتجذب الى الحوار من مر بها عابرا فلم ينتبه الى ذلك النور الذى يشع منها فيملأ المكان ضوءا لا كغيره من الاضواء لان الشعلة هنا تندمج فى هالة الضياء فهى المنارة فى هوجاء العاصفة تقودك اليها لانك فى حاجة اليها ·

كذا كان فرانسوا مورياك تمثالا حيا ونبراسا هاديا وحوارا لم يقطعه حتى الموت الذى اسكت صوته · ولست ادرى هل عمر ليكتب أو هل كتب ليعمر · فقد كانت الكلمة فيه وسيلة وغاية فهى الهواء الذى تنفسه طيلة خمس وثمانين سنة وهى تلك السنوات نفسها تتنفس فى رواياته وقصصه واشعاره ومقالاته ولست ادرى هل كتب ليسخط عليه النقاد فينشط بالحوار المستمر الحركة الفكرية فى بلده وفى غيره من بلاد الله أو هل كان من نافسوه وسخطوا عليه وعابوه وتنكروا لمواقفه ووسموه بالرجعية والقعود قد راموا من وراء كل ذلك بما فيه من رصانة أو شطط ومن صدق أو نفاق تحريك الصمت المخيم على الافئدة الجاثم على الافكار إجلالا للكلمة وخدمة للمكاشفة والاستقصاء وسبرا لأغوار النفس السرمدية · وهل سلم الافذاذ من قولة السوء وهل سلم المؤمنون من حجارة الفلتاء ؟

وكان مورياك من سلالة المؤمنين يحدث ربه فى الزهر المكمم والورد المتفتح والشجر الباسق وعفر الطريق وظلام الحيرة والشك والقلق يستلهم من هذا وذاك آيات يعبر عنها فى فصاحة البلغاء وحساسية الشعراء وخمرة المتصوفين وصرخة المعذبين فى قرن العذاب والتعذيب والتقتيل والابادة والجرح النازف والحجة المفتضة · وهل كان ما كتب غير ما اعتلج فى صدره طيلة حياة من

الكفاح والمسؤولية ؟ آثاره عصارة حياته الباطنة الزاخرة بالاحداث والصور والاحاسيس واتت الذكريات تعزز ذلك وقد تقدمت به السن فكانت آثاره سجلا مفتوحا مباحا متاحا شائعا بين الناس وكانت شهادة على قرن ٠

واحرز ما يحرزه بعض الافذاذ فى حياتهم من المكافآت والاعتراف بالجميل والجوائز والوجاهة والسؤدد والسبق لكن لم تغره عصا الاكاديميين ولا منحة نوبل ولا وسام الفخر والشرف فهذه اعراض تزول كما سيزول من الاذهان تاريخ انطفاء شعلته وتبقى هالة النور المحاطة باسمه ويبقى فى الذهن المنطلق تاريخ مولده ١١ اكتوبر 1885 وليعلق هذا التاريخ بذهن المواطن التونسى الذى لم ينفك الراحل الكريم يدافع عن قضية بلده كما دافع عن قضايا الحق والكرامة والشرف فى كل مكان فليذكر انه ولد بعد احتلال تونس باربع سنوات ٠ كان موريأك يعلم ان الله خلق البشر لا ليكونوا اسيادا وعبيدا ولا ليحكم على بعضهم بالبوار والخزى والنكال ليسعد البعض من نطف الشياطين والارجاس والانجاس بل كان يؤمن بالعدالة فى الارض ويطلق صوته للدفاع عن عدل السماء ٠ فكان يشكر نعمة خالقه ويقول انه عن القيام بواجب اقلها عاجز وان لسانه عن الوفاء بايسرها قاصر ٠ ذلك انه استطاع حين فشل غيره ان يوفق بين المادة والروح وان يبنى قنطرته على الواقع المعيش فكان من فصيلة الانبياء وكان غيره وليسوا قلة من الاغبياء ٠ وشتان بين حامل الرسالة وبين المدعى ، بين الناطق بالحق وبين الوجل أو المرتد أو المذبذب أو الناعب أو الأفاك أو محترف السياسة ٠ ولم يحترف موريأك السياسة وان هو خاض غمارها حين دعاه داعى الهواية الطيبة السليمة ليدافع عما كان يعتبره صادقا مخلصا حق الانسان فى العيش الكريم ٠ فكان موريأك موريأك فى التحدث عن طفولته أو الدفاع عن نزعاته السياسية ٠ كان هو هو حب من حب أو لام من لام ٠ ويكفيه فخرا ان عكف على قراءة ما كان يكتب من مواطنيه ومن الاجانب أجيال من الشيب والشباب كل يجد فيه بغية وفى الحوار معه متعة ٠ ذلك لأن كلامه كان صادرا من الاعماق ينفذ الى النفس فيزرع فيها بذور الشك والحيرة والقلق فتتساءل عن الطبيعة والكون والكرامة وعن مستقبل البشرية تتنازعها الاهواء وتتطاحن فى معتركها النزعات فاذا الحياة التى ارادها الخالق سلاما واطمئنانا مغامرة خطيرة ولعبة يمسك باوراقها بعض السفهاء تبوأوا مناصب القيادة ودانت لهم الرقاب ٠ فاذا الناس تحت العبء يرزحون ومن هول المأساة فى ذعر وارتجاف ٠ ولو لم يكن موريأك شاعرا لما اشعر البشرية بهذه الاخطار ولما كان له منافسون ولما انتبه الى مقالاته الناس فى كل صقع من الارض ٠٠٠ وكم غمر التاريخ من اسماء وكم كتب الكتاب ولم يقرأ لهم الناس » وهل غادر

الشعراء من متردم » • لكن شعره ذاك لم يكن معلقا بين السماء والارض يبحث عن قرار بل كان مفعما بالواقع الملموس المتصل بحياة الناس بارضهم بانعامهم بدواجنهم بالهواء والماء والسماء فهو فى نثره شاعر الحياة النابضة بالاحاسيس الواعية البعيدة عن الاوهام والضبابية • وهذا ما جعل بعض ارباب التيارات التجديدية يسمونه بالرجعية فى الادب وهذا ما يفسر القطيعة بينه وبين فريق الغلاة منهم • وما ابدع صراحته فى هذه الكلمة المأثورة التى قالها لبعضهم وابتسامة على ثغره لا تنتمى لليأس ولا للسخرية لكنها ابتسامة المرتضى دون تعال ، القانع دون خنوع ، المكتفى دون استغناء « انت فى سن العشرين ••• محظوظ انت ما اسعدك !!••• تحدثنى عن جماعة الهيبيز (Hippies) ••• فكيف تريد منى ان اقصد الى ما يقصدون » وكأننى بمورياك يعبر عن مضمون الآية الكريمة « لكم دينكم ولى دين » •

لقد عرف موررياك صرخة الجماهير وهمسة الضمائر الحائرة لكنه عبر عن كل ذلك باسلوبه الشخصى فكان يلاحظ الاشياء ويصورها تصويرا يوفق بين الرواية المجردة والشعور بالموقف فهو يربط بين المنظر والمغامرة والجو المصور الحى متصل عنده بالخواطر النفسانية واعتلاجات الاعماق اتصالا عضويا فهذا يفسر ذاك ويؤثر فيه ويتفاعل معه بحيث لا مجال الى الفصل بين السبب والمسبب والمنظر وما يوحى به من احاسيس فمن تفهم هذا الموقف وانطلق منه نفذ الى اعماق الاثر المورياكى وجال فى ارجائه لا تائها ولا عابرا بل شاعرا ومستطلعا ••• الجسد والروح عنده توأمان لا أخوان يفصل بينهما الزمن وان كانا من نفس الرحم • وذاك ما جعله يلتحم بمنبته التحاما كليا يتسامى منه ومن خلاله ومنطلقه الى رحاب اوسع الى الكون الذى هو نطفة منه والسماء التى هو برج من بروجها اللامعة المستقرة • فما من شخصية من اشخاص رواياته الا وهو من تلك الارض التى انجبته فاذا هى بعد ذلك ومن ذلك المنطلق الى الكون تنتمى ومنه تستقى حيويتها وانسانيتها الراسخة • وهذه معجزة من معجزات موررياك تقابلها تجربة بروست ذاك العبقرى الآخر الذى يؤمن ان افعال البشر صغائرها والكبائر مملاة املاء من الطفولة التى يحملها كل كهل فشعور الطفل فينا لا تمحوه العوارض ولا تطمسه السنون ابدا • وما اسعد الكهول الذين يحافظون على جوهر الطفولة المكنونة فيهم ••• وهذا مفتاح الخلود عند العباقرة • وكثير من المجددين من غفل عن ذلك الجوهر فتاه فى منعرجات الطريق وبهر ولم يسطع وكتب ولم يقنع ودافع ولم يقتنع إلا من قال منهم فى اجتماع صاخب احتد فيه النقاش حول التيارات الداعية لقلب الاوضاع للنسف للرفض والهدم والقتل والموت : « انا لم اشاركم فى النقاش لانى أريد

الموت لكن لا عن طريق اللغط والثرثرة والضرب على الموائد المستديرة ، وانسحب عن الجماعة فى صمت والصدق يفعم صدره وشرر النقمة يتطاير من عينيه · الفعل البداية والفعل نهاية كل شيء ··· والتاريخ لا يحابى احدا ولا يتنكر لاحد ·

وسيحكم التاريخ لموريك لاسباب عدة منها انه لم يكن فى يوم من حياته شاهدا سلبيا على عصره ··· هو لا يلاحظ ولا يصور لكنه يجد فى البحث ويستقصي ويعثر على الاصالة التى يستوحيها من طفولته وارضه ومنزله وشارعه ومحيطه فمن ذاك الينبوع ينطلق ومن المرتفعات تتدفق سيول الكلمة الفاعلة التى نعرفها له لانها تسبينا وتغرينا وتستميل العقل والقلب معا ·· وما الشاعر الشاعر الا ذاك الطفل الذى لايموت···ذلك الطفل الذى يكتب له البقاء وان كان عاطلا من الطهارة الاولى تطغى عليه اهواء الرجل الكهل ونزوات الجسد المكتمل وسورات الدم وغليانه فى الشرايين المعمرة · ولم يفهم سارتر هذا الموقف الحياتى الذى تمسك به موريك فرماه بالعقم متحيزا وكثيرا ما يتحيز سارتر اذ قال : « موريك كالله تماما ··· لم ينجح فى الرواية لانه لا يصرح بكل شيء بل يخفي الكثير وينطوى فيطمس معالم اشخاصه لانه يقيدهم ويعرقل حريتهم ويقعدهم عن الفعل والاختيار ··· فهم مسيرون منقادون » ·

لكن هل تقدر قيمة الكاتب الحق بانتمائه الى شق دون شق او تيار دون آخر وهل يقنع سارتر غير عشاق سارتر ومناصريه واذنابه وتابعيه ··· ولسنا من عشاق موريك وانا نعيب عليه الكثير من صلابته وتحجره وسورات غضبه ولا نطمئن لكل ما آمن به ودافع عنه فالانسان انسان وان رام الكمال لكنا نقدر فى موريك تفانيه فى خدمة بعض القضايا الانسانية التى كان له القسط الاوفر او المتواضع فى التعريف بها والدفاع عن مراميها ولسنا نحصر قيمة هذا الرجل الفذ فى انتاجه الادبى او نقصرها عليه بل نمجد هنا الانسان الذى اعترف له الناس بالكثير من الفضائل فى كل صقع ومن كل جنس · كما نمجد فيه ذلك الصمود الذى عاشره دهرا رغم حملات المغرضين وخذلان المذبذبين فى عالم تدهورت فيه القيم الانسانية ونجح فيه الانتهازيون وزمجر المناوشون وساد ارباب الغاية التى تبرر الواسطة فى عالم أطلق فيه من يمنع الناس ان يبلوا الريق ومن يسد لانفاس الناس كل طريق ومن يرمى بالناس فى اسر حصار ضيق مميت · فقد كان موريك يحب الحرية حبا جسمانيا شهوانيا ويمقت الافاكين ويدحض دعاوى المكيافاليين كان حرا داعية الى التحرر لا

ينتمي لحزب معين لئلا تخنق صوته الطليق مجموعة من الاصوات يمكن ان تدعو لغير الحق وان تدافع عن قضية يعتبرها مخلصا منافية للحق والعدل والسلم واسعاد البشر ٠

فموريـاك الذى نذكر اليوم مآثره وقد انسحب راضيا مرضيا هو ذاك الرجل الذى لا يعتبر من الاهداف الا اكرمها واقربها الى الاريحية والعطاء ولا يقيم وزنا للوسائل الا ما كان منها طاهرا سليما مسالما ولا يدافع عن شرف الا ما كان متصلا بحب الوطن وعزته ومناعته ٠ وان انسحب موريـاك فى هذه الايـام العصيبة التى تحياها البشرية فما زال صوته صداحا بكل هذه القيم الخالدة ولن يخمد هذا الصوت زفير الزافرين ونعيب الناعبين ما دام فى الكون من سيقصر حياته كما قصر موريـاك حياته على الحب فى اجل واسمى وابهى مظاهره ومضامينه ٠

م٠ ف٠

الزهراء ــ 8 سبتمبر 1970

موريـاك بايجـاز

- ولد فرانسوا موريـاك ببوردو فى 11 اكتوبر 1885 ٠
- بعد حصوله سنة 1906 على الاجازة فى الآداب انتقل الى باريس لاعداد مناظرة للدخول الى المدارس الكبرى ٠ ولما نجح استقـلال اذ أصابته حرفة الأدب ٠
- بدأ حياة الخلق سنة 1909 بمجموعة شعرية « الأيادى المضمومة » (Les mains jointes)
- ومن ذلـك الـوقت بـدأ ينشـر روايـاته الكثيـرة واشهـرها (Le Nœud de vipères) - (Thérése Desqueyroux)
- ثم دخل الى الأكادمية الفرنسية سنة 1933 واصدر عدة بحـوث ذات صبغة دينية وفى سنة 1934 نشر أول جزء من يومياته التى استمر فى كتابتها الى سنة 1950 ٠ ثم تحول الى المقالات السياسية فى ما سماه (Bloc - Notes) ٠
- فى سنة 1938 دخل عالم المسرح بمسرحيته (Asmodée) ٠
- شارك من سنة 1940 الى 1944 فى المقاومة ضد النازية ٠
- نال سنة 1952 جائزة نوبل ٠
- فى سنة 1955 انقطع عن مجلة (Express) وتحول الى الفيقارو ٠
- توفى فى أول سبتمبر سنة 1970 ٠

واذا الموؤودة سألت

شعر : فضيلة الشابي

إلى الصديق الذى التقيت به ذات
مساء فى الدرب المحرق ٠

فِي دربِنَا المُحْترِقْ
حَقَائِقُنَا الموؤُودة تَجْرِي
تُلاحِقُهَا الكِلابْ
تُوصَدُ أمَامَهَا الابْوَابْ

وَقْتَهَا ،
كُنْتَ تُولِّدُ العَوَاصِفَ فِي السمَاءْ
وَأبْصَرْتَهَا
تَرْفُضُهَا المُدُنُ المعدومةُ الوَفَاءْ
فَخَطَفْتَهَا
أرْكَبْتَهَا عَاصِفَةً وَليدَةً
رَضَعَتْ نورا
تَرَعْرَعَتْ فِي العَرَاءْ
بِهَا صَفَعْتَ بَحْرَ الزَيْفِ والجَبَلَ

وَألْقَيْتَ السُؤَالَ سَعِيراً
في مُدُن لم تعرف رَوْعَةَ الفَمْضِ وَالعَطَاءْ
في الصّحراءْ ...؟
إذا المَوؤودَةُ سَألَتْ
بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ
إذا المَوؤودَةُ سَألَتْ
يَومَ اللقَاءْ ؟ ! ...

ثُمَّ سِرْتَ
تَنْسِفُ الكِلاَبَ مِنَ الدَرْبِ نَسْفَا
تَتَخَطَّى مَدِينَةَ الغُولِ
رُبَى المَوتِ
لِكَيْ نَحْيَا ،
نُورِقَ فِي حَقَائِقِنَا

ف. ش.

أضواء على القصة التونسية المعاصرة

بقلم : البشير بن سلامة

ان انتشار القصة فى تونس بعد الاستقلال ظاهرة بارزة لا تحتاج الى تدليل وان تعدد الكتاب فى هذا الفن يسلم به كل من اهتم بالادب التونسى وتتبعه فى المجلات والجرائد والمجموعات القصصية التى تصدر عن دور النشر (I) ٠

وقد فرض ازدهار القصة التونسية على المطالعين والنقاد الاهتمام بها وكثرت بذلك المقالات والبحوث والاستجوابات والتعاليق طامحة الى ان توفى بحق هذا الفن الذى اكتسح ميدان الادب ، فتيا جبارا فى تحسس طريقه ، يانعا فى ضروب خلقه ٠

وما هذا العمل الا مساهمة متواضعة فى الكشف عن جوانب من القصة التونسية ، هو لن يكون احصائيا كميا ، ولا تحليليا بأتم معنى الكلمة بل سيكون محاولة تأليفية محدودة للبحث عن العوامل التى حركت كتابنا فكتبوا القصة بصورة دون أخرى ، وظهرت فى أغراضها وتقنيتها ولغتها وأسلوبها متميزة عن غيرها من القصص فى العالم ، محتفظة بنوعيتها وأخص خصائصها٠

ولن يكون كذلك تقييميا ذوقيا فيه تفضيل ، من حيث الروعة الفنية ، لكاتب دون آخر بل سيكون مراعيا لدرجة وعى كل قاص بالقضايا والمشاكل الراجعة الى فنه ، معتبرا أن مجرد نشر أثر أدبى فى جريدة أو مجلة هو شاهد قبل كل شىء على وضع ثقافى معين ، ووثيقة لها دلالاتها يمكن لكل فن من فنون المعرفة أن يعتمدها ٠

(I) المجلات كالفكر والشباب وقصص وثقافة والاذاعة والتلفزة والجرائد كالملحق الأدبى والثقافى للعمل والصفحة الثقافية للصباح وغيرها ٠ ولقد نشرت مجلة الفكر منذ تأسيسها الى موفى السنة الخامسة عشرة من حياتها 2I0 قصة تونسية ٠ وصدر بمجلة قصص فى اعدادها الخمسة عشر I26 قصة تونسية وصدر عن الدار التونسية للنشر I2 مجموعة قصصية تونسية ٠

كما أن هذا العمل سيقتصر على القصة فقط (Nouvelle) من دون أن يشمل الرواية (Roman) لان الانتاج الطاغى فى هذا الباب هو القصة لا الرواية ولان الفروق بين هذين الفنين كبيرة ولان انصراف الكتاب التونسيين الى الخلق فى هذا الصنف من الادب دون الآخر لا بد أن تكون له أسبابه ومؤثراته ٠

ولعل النظر فى الفروق الموجودة بين القصة والرواية من حيث هما فنان قائمان بذاتهما يفسر لنا بادىء ذى بدء شغف كتابنا بالقصة أكثر من غيرها ٠ وانه لمن الصعب ان نجد تحديدا ثابتا قارا ، يصف لنا القصة ، ويضع لنا خطوطا واضحة للرواية ٠ اذ الامر مرده فى الواقع الى الخلاقين ، وكم تباينت أساليبهم واختلفت مناحى بناء أعمالهم بحيث لا نجد بين هذا وذاك الا شبها بعيدا وملامح تماثل ضئيلة ٠

الا أن من النقاد من وصل الى ضبط الفروق وأثبت أن أشخاص « القصة غير ايديولوجين » (2) أى أنهم لا يخضعون فى سلوكهم ومواقفهم الى فكرة مسبقة بل هم يقتطعون من الحياة ويرسمون باقتضاب وايجاز حسب مقتضيات حركة محدودة فى الزمان والمكان بينما نجد أشخاص الرواية يسيرون بمقتضى فكرة محددة لا يخرجون عنها ويملؤون بأبعادها عمرا كاملا أو جزءا كبيرا منه بزمانه ومكانه اللذين يفيضان على الحركة ويشملانها بأوساعهما ٠

أما العقدة فى القصة فهى بسيطة جدا وقد لا توجد فى بعض الاحيان خاصة اذا أصبح الاثر قصيدة منثورة ٠ وعلى كل فهى « عقدة يأتى تشعبها من الحياة لا من تنظيم واحكام تفرضه ايديولوجية مضبوطة » (3) ٠ كذلك كل « تحليل نفسانى » ، فى القصة لا يخضع « للافكار بل يسير حسب الاحداث » (4) وهى التى تسيطر عليه وتنحو به منحى خاصا يباغت فى أكثر الاحيان ٠

وأخيرا فان تقنية بناء القصة تكون بمثابة التأليف (Synthèse) بينما الرواية أساس تقنيتها وهيكلها هو « التحليل المطنب » (5) ٠

---

(2) البرتو مورافيا ، الانسان غاية الانسان ، فلاماريون ، باريس 1965 ٠ ترجم عز الدين المدنى من هذا الكتاب : القصة والرواية فى مجلة «قصص» عدد 6 ، 1968 ، ص 136 — 137 ٠

(3) نفس المرجع ص 141 ٠

(4) نفس المرجع ص 141 ٠

(5) نفس المرجع ص 141 ٠

على ضوء كل هذا يصح أن نقول ان القصة أقرب الى الحياة من الرواية وألصق بالواقع أى أنها فى نوعيتها (Spécificité) وروحها تقترب من خصائص الحياة بصفة عامة ، الماثلة فى عنصر التأليف البعيدة عن التمسك بفكرة مسبقة أو ايديولوجية معينة ولو كان للحياة معنى واضح ثابت يقره جميع الناس أو معان محددة مضبوطة تتفق فى شأنها البشرية لهان على الانسان العيش وأصبح تاريخ الانسانية أى تاريخ الحياة المتطورة الحركية شيئا قارا له قوانينه، يمكن لكل عالم أن يتنبأ بمصيره. ولكن الواقع يحتم على المنكبين على دراسة الحياة التى كم شعبها الانسان ونوعها، أن يحترزوا من أن يفلت من بين أصابعهم فهمها اذا هم بالغوا فى تقنينها وأحكموا تبويبها بصفة نهائية وغاية ما يمكن أن يصلوا اليه هو النظر ، بمختلف وجوه النظر ، الى جانب منها محدود فى الزمان والمكان ، مقيد بملابسات وظروف معينة ، ورغم هذا فهل يوقى الانسان من الخطأ ويقال من المزالق والعثرات ، وخاصة اذا قل التوفيق وافتقد الحدس ؟ وهلا يمنعه توقه الى التجريد وهو منفذ تقدمه وتطوره ، من أن يستنبط إيديولوجية ما يصهر بها الحياة لينصهر فيها ويعنف بها ليسيطر عليها ؟ وجهان اذن للوجود الانسانى قد يتمثلان فى القصة وفى الرواية : من جهة الحياة فى تعقيدها وتشابكها وثروتها ومن جهة اخرى إخضاع الحياة لايديولوجية ما تبسط وتيسر وإن فى جدب ونضوب حياة فى الظاهر .

ولكن المهم فى موضوعنا هو أن نسائل أنفسنا عن الاسباب التى جعلت الكاتب التونسى يميل الى القصة ونتيجة لهذا هل يصح ان نقول تبعا لهذه المقدمة انه يحبذها لانها اقرب الى الحياة ؟

قد يكون من السذاجة الجزم بهذا ومن السهولة التى تغطى تشعبا وتعقدا فى كنه الخلق الادبى المتنوع تنوع الخلاقين والكتاب ، تأكيد هذا الامر .

فهل نميل اذن الى التسرع ونقول بأن الكتاب التونسيين وخاصة الشباب منهم شغفوا بالقصة لان : « جدة (هذا النوع) جعلت منه غاويا لاقلام الشباب المولع بالخلق الادبى » (6) والحال أن القصة موجودة من القرون الوسطى مع بوكاتشو الايطالى وفى أوائل القرن مع تشيكوف وموباسان مثلا وتعدت مستوى « الموضة » منذ زمان .

---

(6) صالح القرمادى ، القصة فى تونس منذ الاستقلال من خلال المجلات التونسية ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثانى ، سنة 1965 ص 75 .

أم هل سننساق الى التمنى مثل من تساءل قائلا : متى سيتمكن الكتـاب التونسيون من « اجتياز نطاق القصة القصيرة الضيق والارتفاع الى مستوى الرواية الطويلة » ؟ (7) المسألة اذن تتعلق بطول النفس وليست هى مربوطة بنوعية هذا الفن • ولو كان الامر ينحصر فى درجة طاقة الكاتب من حيث طول الاثر وقصره لكان علينا أن نطرح تشيكوف مثلا من قائمة الادباء العباقرة • واذا كان الامر تشكيكا فى قدرة التونسى وعبقريته فان لنا والحمد لله اليوم من كتبوا الرواية وأجادوا فيها وأظهروا طول نفسهم مع طول باعهم •

وهل نعزو هذه الظاهرة الى طبيعة النوع القصصى العربى الذى سيطر منذ قرون واتسم بطابع القصة وان هو برز فى صورة رواية طويلة كبعض الابواب من ألف ليلة وليلة وكثير من الحكايات والنوادر والخرافات ؟ ولكن الرواية فى مصر هى الطاغية وهى التى دخل بها الادب المصرى الى العالم القصصى قبل ولوجه باب القصة •

وهل نجازف ونجزم بأن السنة الادبية الفكرية القومية الممتزجة بـروح التونسيين من حيث لا يشعرون والتى ظهرت فى تآليف أبوليوس واعترافات القديس أغسطينوس وفى أدب الرحلة والتاريخ الملون على الطريقة الادبية هى الحافزة على الانكباب على هذا النوع من الادب ؟•

وأخيرا هل نربط هذه الظاهرة بحياتنا العامة بعد الاستقلال ، خاصة اذا نحن سلمنا بأن كل كاتب لا بد أن ينطبع فى صورة من الصور ، أحب أم كره ، انسجم أم لم ينسجم ، بظروف الحياة فى تونس أثناء هذه الفترة ؟

وهذه الحياة العامة هى خاضعة فى الحقيقة الى السياسة فى معناها العميق عندما ينعكس اثرها على ضروب الحياة الاقتصـادية منهـا أو الاجتمـاعية أو الثقافية• والسياسة فى تونس بعد الاستقلال الى اليوم لا تقول بالايديولوجيات ولا الافكار المسبقة • واشتهرت بذلك وأثرت على الواقع التونسى أعمق تأثير وسيطرت وما زالت تسيطر فهل تأثر بها كتابنا الى الحد الذى اختاروا فيـه القصة على الرواية ؟ سؤال أطرحه على المناقشة ولا يمكن لى الاجابة عنه هنـا بصورة نهائية ولكن يمكن التمهيد له بما أمكن لى جمعه من الملاحظات حول تطور

(7) ريجيس بلاشير ، جريدة « لابريس » يوم 17 جانفى 1963 نقلا عن المرجع السابق ص 79 •

القصة التونسية وحول القضايا المتعلقة بها والمسيطرة عليها •• ولعل فى تصنيفى لانواع القصص حسب نظرة خاصة لا تخضع الادب الى المدارس من رومنطيقية وواقعية وغيرها ما ينير السبيل للاجابة عن هذا السؤال •

* * *

وليس من اليسير تقسيم كتاب القصة فى تونس حسب المدارس المعروفة لان القصة كما ذكرنا لا تخضع فى جوهرها للايديولوجيات فيسهل تصنيفها بهذه الصورة ثم لاننا نضطر كما فعل بعضهم الى حشر كاتب واحد مرة مع النزعة الرومنطيقية ومرة أخرى مع النزعة الواقعية وهكذا دواليك (8) • فاما أن يكون هذا التصنيف يصادف حقيقة لا منازع فيها فيكون الكاتب رومنطيقيا فقط أو واقعيا ، أو رمزيا ولا يخلط بين نزعة وأخرى واما أن لا يدل على أى وجه موضوعى يمكن الاعتماد عليه بالنسبة لوضعنا الادبى فيقودنا عند ذلك الى تصنيف آخر يكون فيه الكاتب منسجما مع نفسه تربط بين انتاجه مهما تنوع وحدة متينة •

واذا وجدنا صعوبة فى تصنيف انتاج كاتب ما وخفنا أن يلحقه الضيم فمن باب أولى وأحرى اذا اردنا حشر كاتبين أو ثلاثة فى صنف واحد • وكيف نتوصل الى ايجاد وجوه الشبه من دون ان نظلم هذا او نحرف رؤية ذاك ؟ لعل أقوم الطرق وأسلمها من الخطأ هى التى تبحث عن المادة الخام التى انطلقت منها القصص وغرق فيها الكاتب أولا ثم صهرها بحسب مزاجه وطاقته على الخلق ، ورؤيته الى الكون وقدرته على السبك •

ان كتابا عاشوا نفس الفترة وتأثروا بنفس المؤثرات وانفعلوا لنفس الاحداث لا بد أن يكون فى انتاجهم ما يوحد بينهم ويجمع كلمتهم أى لا بد أن تكون القاعدة الحية التى أرسوا عليها ركائز خلقهم واحدة ولو اختلفت فيما بعد مناهجهم الفنية وتباينت أساليب تعبيرهم • وبعبارة أوضح فان الطريقة التى أعرضها فى هذا العمل هى البحث عن الارضية (Backgground) التى ترتكز عليها كل مجموعة من القصص ثم وصفها حتى يقع على أساسها ضبط العناصر الجامعة بين كاتب وكاتب •

---

(8) القصة منذ الاستقلال الى اليوم من خلال المجلات التونسية ، المرجع السابق •

لقد تبين عند استعراض القصص المنشورة من الاستقلال الى اليـوم أنهـا تنطلق من ثلاث أرضيات متراكمة حينا ومنفصلة بعضها عن بعض حينا آخر ٠ الاولى : اعتمدت الماضى ، والثانية : الحاضر ، والثالثة المستقبل وكلها وان اختلفت أرضياتها تعالج قضايا انسانية خالدة وتخوض فى أغراض لا يشرف الواحد منها على الآخر وتظهر فى مظهر من الروعة الادبية يتغاير مع قدرة كل كاتب ويتناسب مع درجة سموه الفنى ٠ فكم من كاتب من الصنف الاول لاقى من الشهرة والتقدير ما يجعله يفوق كاتبـا من الصنف الثالث مثلا والعكس بالعكس ٠ فهذا التصنيف اذن غير تقييمى وليس فيه أى تفاضل بين قصـة وأخـرى ٠

* * *

ان من يتتبع قصص البشير خـريف والطيب التـريكى ورشاد الحمـزاوى ومحمد فرج الشاذلى ومن يشبههم كثر يجد ان ارضية قصصهم تنطلق دائما من ماضى تونس سواء كان الماضى القريب أو الماضى البعيد وهؤلاء اعتمدوا ظروف حياة التونسيين قبل الاستقلال كالبشير خريف فى قصة خليفة الاقرع التى تصور الدقاز وخادم المنزل وهى صور من المجتمع التونسى انقرضت أو تكاد وحتى ان بقى منها شيء فهو الى التلاشى ، وفى قصة النقرة مسـدودة الواصفة للضيـافة القـديمة وآفاتهـا ، أو الطيب التريكى فى قصص فـرحة الاولاد،وكلاب السوق،وغيرهما التى تحاول ان ترسم لنا نماذج من حياة المنزل والسوق والشارع ، وكرشاد الحمزاوى فى قصصه التى تعتمد اشخاصا عاشوا فى الريف وانزل عليهم الفقر والجهل والتخلف من صنوف القهر ما جعلهـم يشذون عنه ويتشردون مثل طرننو،هذه كلها جعلت من حياة المجتمع التونسى القديم مسرحا لها واعتنت خاصة بالحالات الاجتمـاعية والنفسـانية حتى ان البشير خريف يمضى فى نزعته هذه الى ابعد حد نشدانا للاصالة فيبحث عن لغة التونسى العامية فى القرن الثامن عشر ليطعم بها رواية « برق الليل » وهؤلاء انفسهم لا يهملون ماضيا حافلا بالكفاح فنرى محمد فـرج الشـاذلى يخصص كثيرا من قصصه لوصف ابطال ضحوا بحياتهم فى سبيـل الـوطن ونضبط البشير خريف يحكى ملحمة 9 افريل فى قصته « محفظة السمار » وحتى طرننو رشاد الحمزاوى لا يبخـل على الـوطن بتضحيـة فيشـارك فى المظاهرات ٠

وهكذا فان الذى يجمع بين هؤلاء هو شغفهـم بالمـاضى ورواسب الماضى البعيد ، بوجهيه المتخلف والمتطلع ٠ فكأن قناعا من الانحطاط وانهيار الـذات

والضياع يمزق لتظهر منه الاصالة والبطولة والشخصية فى اجلى مظاهرها ٠ ولعل هذا يتبين بوضوح فى ممارسة هؤلاء الكتاب لاهم عنصر من عناصر فنهم **وهى اللغة ٠**

قال احد المستشرقين : « يمكن القول بان اللغة [العربية] الكلاسيكية هى (Personna) المجتمعات العربية وذلك فى المعنيين اللذين يملكهما هـذا اللفظ باللاطينية ، الاول فى دلالته على « القناع » الخاص بالملاهى فوق الركح وبالمحافل ، والثانى فى اشارته الى الشخصية بما تفرضه هذه الكلمة من صدق واصالة (9) » ، والصدق ! والاصالة هما شعار افتتاحيات « الفكر » والكلمتان اللتان تترددان اكثر من غيرهما وعنوان استجواب طويل للاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » (10) ٠

وكلنا يعلم مكانة اللغة العربية عند اهلهـا وجهـاد افذاذهـا من الكتـاب لتجديدها وازالة ما علق بها من ادران الماضى وتمزيق القناع الذى صرفها عن الحياة ومواكبتها قرونا وقرونا ٠ وكلنا على يقين من ان قيمة كل كاتب تتجلى فى موقفه ومعالجته للغته ٠ ولقد احس هذا الصنف من الكتاب الـذى نحـن بصدده ان لغتنا لها هذان الوجهان ، فراح كل واحد منهم يواجهها بما لديه من قوة ويحاول ان يرفع عنها القناع ٠ وجلهم رأوا انفسهم مضطرين الى الاسراع فى رفعه بعنف طلبا للاصالة والصدق فتمزق وانزاح منه ما انزاح وبقى ما بقى فظهرت اللغة مزيجا من الفصحى والعامية ٠ وبرز الحـوار عند خـريف والحمزاوى والتريكى عاميا إقليميا فى بعض الاحيان ليس فيه اى اثر للعمل الفنى ولكنه جميل فى سذاجته وبساطته وحتى من التزم الفصحى مثل فرج الشاذلى فانه احس بهذا القناع الذى تكاثف عليه الغبار فصقله صقلا صقلا فقط خشية ان يمزقه وطلع علينا بلغة جميلة تذكرنا بعهود ازدهار العربية ٠

ولا اريد ان امضى اكثر من هذا فى تحليل موقف هؤلاء الكتاب من اللغة لانهم ، وان جمعهم هذا الوعى بوجود هـذين الـوجهين ، فهم يختلفـون فى

---

(9) Jacques Berque, Anthologie de la littérature arabe contemporaine (Roman et Nouvelle) (Préface), Editions du Seuil 1964, p. 10

(10) محمد مزالى ، ليس كالصدق والاصالة طريقا الى الادب الحق ، جريدة « القنال » عدد 28 بتاريخ 23 سبتمبر 1968 ومجلة « الفكر » السنة 14 ، 1968 ، ص 2 وما بعدها ٠

مواجهتهم وصهرهم لمادتها وهو امر يجرنا الى دراسة كل كاتب على حده وتحديد نمط لغته وتأثيره على اغراضه وتقنيته وهو فى اعتقادى الكاشف والمنطلق لعالم كل قاص (II) ، ولكن غرضنا ليس هذا ٠

* * *

واذ كان هذا الصنف من الكتاب قد اتخذ ماضي تونس ارضية لقصصه فان صنفا ثانيا ظهر بعده بقليل وانكب يعالج فى انتاجه حاضر تونس ٠ وليس اصدق للدلالة على هذا التيار مما كتبه سنة 1963 مصطفى الفارسى فى محاضرة له عنوانها : « القصة كامنة فينا » قال :

« تمر البلاد التونسية فى ايامنا بطور من حياتها تشتبك فيه الانقلابات وتتلاحق وتؤتى اكلها ٠ ولا اراني فى حاجة الى سرد الاحداث التى تطلع علينا كل يوم فانتم تعيشون فى معتركها مثلى وتقدرون مثلى ايضا ما لها من وقع وبعد اثر فى النفوس ٠ واذا اثرت الوقائع فى النفوس وخاصة فى نفوس من نسميهم بالادباء كانت القصة ، نعم القصة فى حياتنا اليومية فيما يجرى امامنا من احداث ، فيما تسجله مخيلتنا وما يجب ان يكتبه القلم او ترقنه الآلة الراقنة ٠ حياة عراك بين القديم والحديث ، بين الرجعية والتقدم ، بين التقليد والتجديد ، وحياة صراع بين الحيوية والجمود بين كلمة الحق ورعود الباطل بين صرخة اليتيم الجائع ووقاحة النهم الذى لا يشبع من اكل ، نحن نعيش فى كل هذا وذاك فى ازدحام الاحداث وجموع الانجازات ٠ نحن فى اقوى واغنى عصور حيويتنا أليس فى هذا دعوة الى الكتابة والخلق » (I2) ٠

لقد تعمدت اطالة النص هنا لان مصطفى الفارسى هو ابرز من اهتم بهذا الصنف من القصص فعالج فيها اغراضا اجتماعية وسياسية وذاتية وكلها تدور حول الثورة على التقاليد البالية والتطلع الى بناء حاضر متطور متمدن ٠ هى

(II) هذا موضوع سلسلة من الاحاديث الاذاعية حول « فن القصة بتونس من خلال مجلة الفكر » حللت فيه نمطين من القصص التونسية بالاعتماد على خصائص اللغة المستعملة فيهما ٠ آمل ان يكتب لهذه الدراسة النشر فى يوم من الايام ٠ وعلى كل فهى موجودة الآن فى « أرشيف » الاذاعة الوطنية ٠

(I2) مصطفى الفارسى : القصة كامنة فينا ٠ مجلة « الفكر » السنة 8 ، 1963 ، ص 722 ٠

اكثرها وان اتسمت بطابع الفن دعوة الى التخلص من بقايا المجتمع البالى ولكنها محاولة صادقة لتكون مرآة الحاضر فى صراعه المستمر ٠

ولم يكن الفارسى وحده هو الذى خاض هذه المعمعة بل سبقه الطاهر قيقة فى قصصه الخمس التى نشرت بالفكر سنة 1956 ـ 1957 ولكنه انقطع عن ذلك فترة طويلة وها هو يرجع الى ميدان القصة محملا بتجارب الحياة والفن ٠ كما ان حسن نصر ورشيد الغالى وكذلك عدد كبير من أسرة « هواة الأدب » لم يبخلوا بتحليلهم العميق للصراع الذى يخوضه الشاب التونسى فى خضم الحياة الجديدة ٠

لهذا فان شخصيات قصص هؤلاء الكتاب كلها تحيا فى بيئة وحدة وهى البيئة التونسية وتعيش زمنا واحدا وهو الحاضر وان وصفت بقايا الماضى فللدعوة الى القضاء عليه وكلها تعانى ازمة التطور التى تجتازها البلاد من اجل الاستقلال وتبحث عن نفسها فى خضم الحياة وهى بين الامل المطلق فى تفاؤلها والتشاؤم المفرط ٠

وكأن هؤلاء الكتاب يحسون بان لهم رسالة عليهم تبليغها الى الناس فلم يشعروا بشديد الحاجة الى مواجهة اللغة مواجهة صريحة مثلما فعله الصنف الاول بل المهم عندهم هو الابلاغ وما اللغة عندهم الا اداة للافهام ان ادت دورها وانفتحت لها القلوب لم يعد ما من شانه ان يبعث على الحيرة لهذا فلن نجد الا نادرا الحوار بالعامية ولن نظفر الا قليلا بتأنق فى العبارة او زخرف او بحث عن طرافة فى اللغة بل هو السهل الرقراق الذى يحمل بين طياته افكارا ونظريات وتفلسفا يبعدنا فى بعض الاحيان عن دقائق الحياة الواقعية ٠

* * *

ويأتى الصنف الثالث متأخرا شيئا ما عن الثانى ولربما وضعنا له تاريخ سنة 1963 عندما جمع السيد الرئيس ثلة من الادباء للنظر فى قصة الحبيب ابراهم « عبث » (13) وعندما بدأ رعيل آخر من الشباب يكتب فى مجلة « الفكر » كمحمود التونسى والحبيب ابراهم ثم سمير العيادى وعز الدين المدنى وغيرهم ثم اخذوا ينشرون ابتداء من سنة 1966 فى مجلة « قصص » سنة

---

(13) راجع بمجلة « الفكر » السنة 9 ، 1963 ، باب « أصداء الفكر » ص 84 ٠

تأسيسها ، ثم منذ اكثر من عام فى الملحق الادبى لجريدة « العمل » لسان الحزب الاشتراكى الدستورى ·

ولعله من المهم ان الفت النظر الى بعض التواريخ والاحداث التى يمكن ان يستنتج منها الباحث ما يدل على انبعاث هذا التيار الثالث فابتداء من سنة 1963 بدأت الحكومة والحزب فى سياسة موجهة نحو الاعتناء بالشباب والالتفات اليه والخوض فى مشاكله لتهيئة مستقبل البلاد · وفى اكتوبر سنة 1964 انعقد مؤتمر **المصير** وتسمى الحزب **بالاشتراكى** واثار لاول مرة رئيس الدولة مسألة **الخلف** فى الحكم · كل هذا يدل على ان البلاد كانت متجهة الى المستقبل اكثر من قبل ، وقد تخلصت من العقبات الكاداء التى كانت تكبل مسيرتها ·

وليس من الغريب آنذاك ان نجد مجلة « الفكر » تخصص معظم عدد جانفى 1964 للشباب ومشاكله ، وليس من الغريب ان نجد فى نفس العدد مصطفى الفارسى يرد على شاب يبحث عن المصير فى قلق وعن المستقبل فى حيرة تحت عنوان « رسالة الى صديق » قائلا :

« نحن يا أخى فى عصر الخلق عصر الثورة المتواصلة على الاوضاع الواهية المتداعية فما احوجنا الى ساعدك الى قلمك الى ايمانك الى هذا المعدن الطيب الذى فيك ·· فما هذه الرحلة التى ذكرت المحفوفة بالاخطار والمفاجآت « رحلة الانسان عبر وجوده وعبر نفسه فى متاهاتها المظلمة ؟ » (14) ·

هذه الرحلة هى التى كانت منذ ذلك الوقت وما زالت تشغل بال الشباب وقد وعى واقعه فى بلاده وفى العالم بما فيه من مشاكل وقضايا ورام ان يتجاوزه ، « وان يرى الدنيا بنظرة اخرى غير التقليد · فانفجرت عنده القيم الموروثة وراح يعبر عن قلقه من اجل ان يكون غير الذى كان ، ويفصح عن غضبه لانه لم يجد نفسه [كل ذلك] توقا الى تجاوز نفسه » (15) ·

هذا التيار الثانى من كتاب القصة من امثال عز الدين المدنى وسمير العيادى ومحمود التونسى ورضوان الكونى وغيرهم وان هم تحدثوا عن الماضى او

---

(14) مصطفى الفارسى ، رسالة الى صديق · مجلة « الفكر » ، السنة 9 ، 1964 ، ص 320 ·

(15) Jean Fontaine, Naissance d'une nouvelle tendance littéraire en Tunisie. IBLA n° 124, 1969 -2 p. 298 - 9

الحاضر في قصصهم فان الذى يهمهم اكثر من ذلك هو تجاوز الماضى والحاضر الى مستقبل يفهمه كل واحد منهم فهما خاصا ، غامضا فى بعض الاحيـان ، شعريا فى أغلبه ٠

ولكنهم كلهم فهموا ان « الأدب لا يكون أدبا الا اذا تجاوز الوثيقة » (16)

« فخالطت أصواتهم أصداء المعاصرة والقلـق ، وأخـذت البـابهم البحث فى مجاهل اللغة وعميق الاغراض » (17) ٠ وانضموا الى كتاب القصة فى العالم الذين لا هم لهم « الا ان يوحوا بتجربتهم عوض وصفها او تفسيرها » (18) ٠

وفهموا اكثر من ذلك ان « الاسلوب ليس هو صورة من صور التعبير ، بل هو ايضا ٠٠٠ طريقة لامتلاك النفس » (19) لانهم احسـوا فى « بحثهـم عن الشكل والمضمون انهم قد فقدوا تمام انفسهم وان عالمهم ينهار » (20) ٠

ومن هنا أتت التجارب فى الشكل ومن هنا تجاسر عز الدين المدنى (21) وجماعة فى غير العمودى والحر (22) (لان التيار فى الواقع واحد) على اللغة وارادوا ان يزيحوا ذلك القناع وان لا يبقوا اثرا له لتظهر اللغة بعد الصهـر والسبك الجديد متجاوزة الماضى والحاضر ومستقبلة المستقبل ٠ لهـذا كانت اللغة العربية وعبقريتها هى الهدف الاول فى اعمالهم الادبية فاجتهدوا كل منهم حسب قدرته ودرجة وعيه وشقوا طريقا لانفسهم عليهم العهدة فيها ٠

* * *

---

(16) Jacques Berque, Anthologie de la littérature arabe contemporaine (Le Roman et la Nouvelle) Préface 1964 p. 65.

(17) Abdelmajid Chorfi, L'Action, 22 Juin 1969.

(18) Histoire de l'Humanité. U.N.E.S.C.O. Tome VI, 2p. 1159.

(19) نفس المرجع الموجود فى تعليق 16 ، ص 7 ٠

(20) نفس المرجع ص 27 ٠

(21) راجع الانسان الصفر ، « الفكر » السنة 14 ، 1968 ٠

(22) راجع شعر فضيلة الشابى ومحمد الحبيب الزناد والطاهر الهمامى فى مجلة « الفكر » ابتداء من سنة 1968 ٠ ولقد أشرت الى هذه النزعة الجديدة فى الشعر العربى فى كتاب لى بعنوان « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » هو الآن تحت الطبع ٠

ثلاثة تيارات اذن فى القصة التونسية لا يقل الواحد خطرا عن الآخر ، ولا يمتاز الكاتب من هذه الاصناف عن صاحبه الا بصدق التعبير وسمو الفن فى تجسيمه لوعيه وتبليغه ادبيا رؤيته للكون وعالمه الذى صنعه لنفسه ·

ثلاثة تيارات كلها ملتحمة بالواقع التونسى متحدة مع مختلف فتراته بعد الاستقلال ، واعية بقدر طاقة كل منها للقضايا الحيوية المطروحة امام المجتمع التونسى ، متفاعلة عن شعور او غير شعور مع اعمق التطورات المقلقلة للحياة فى تونس ·

فهل يصح اذن ان نقول ان انصراف الكتاب الى القصة اكثر من الرواية قد فرضته مقتضيات الحياة فى تونس واثرت فيه احوال السياسة ؟

قد نميل بعد الذى قمنا به من محاولة تأليفية الى تأكيد ذلك · ولكن لا يصح هذا فى رأيى الا اذا نظرنا الى الرواية بنفس المنظار وحللنا عواملها وتحققنا من وجودها على اكمل وجه ·

البشير بن سلامة

22 جويلية 1970

ماذا لو لم يكن لقاء ؟ !...

قصة ، بقلم : عمر الببه

قالت : سأتزوج طبيبا أو
مهندسا وسأكون سعيدة ٠

ــ متى تعودين إلى القرية ؟

ــ بعد ظهور النتائج ٠

ــ أين ستقضين العطلة ؟

ــ فى القرية ككل صيف ٠

ــ ألا يمكننا اللقاء خلال العطلة ؟

ــ لا أستطيع ٠

ــ ٠٠٠ والمراسلة ؟

ــ لا حاجة إلى ذلك ٠

حاولت إيجاد صلة غير صلة العذاب والقلق فأخفقت ٠ هى صممت على تركى وأنا لا أستطيع التفكير فى غيرها دون أن أفكر فيها ٠ أحببتها فى يوم كانت فيه حتمية اللقاء فرضا على الاحداث والاشياء وعدم حبى لغيرها خوف وتهاون ٠

ماذا لو لم يكن لقاء ؟ ! ٠٠٠

تساؤل مضغه ذهنى كم مرة ولم يحز فى منطقة اللاوعى ، أراوغ نفسى وأعلم يقينا أن الاحداث العفوية تكون غريبة بطبيعتها ٠ قد أجد عبارة أبرر بها سبب هذا التساؤل المرير ٠٠٠ لعبة خطيرة لا أستطيع تحمل قساوتها لأنى لا أستطيع موازنة عنف الاحداث بقوة العبارة ٠

أحسست بضباب باهت يغشى دماغى فشعرت بنشوة تملأ صدرى ٠ أشعلت سيقارة وجعلت أنفث الدخان فى تثاقل وأنفض الرماد فى حركات رتيبة مملة فتذكرت ٠٠٠ تذكرتها يوم أستلقت بجانبى على الرمل لاهثة من

عناء السباحة • صدرها الصغير كان يعلو ويهبط • جسدها النحيف يترقرق تحت الشمس • كنت أتظاهر بقراءة كتاب وعيناى تختلسان منهـا نظـرات خاطفة : قسمات رقيقة معبرة ••• شفتان يطفو عليهما الهدوء والانشراح ••• خد يفيض نقاوة وبشرا ••• خجلت من نفسى فدنوت منها أداعب خصـلات شعرها وأمر بيدى على وجهها ••• على خدها • تحول انشراحهـا انقباضـا وقسماتها عبوسا ينذر بالغضب والقطيعة فرفعت يـدى وعـدت الى كتـابى أتصفحه فى اضطراب وانفعال ••• شعور غريب يغمرنى : هدأة تطمئن فيها النفس بعض الشىء وتتمرد فيها الذات لحين فى فترة كنت فيها بين بين • هكذا بدت لى سخافتى من وراء كبريائها الكاذب وأنا جالس أرمق البحر وحولى الاشياء تؤنسنى بصمتها والعناصر تقضقضنى بهديرها • تتوتـر العنـاصر ويتألق الخيال فتذهب بى الذكرى الى أكثر من الماضى • عناء الذكرى وصلابة الماضى يخيفاننى !••• هذا المجهول بين الذكـرى والمـاضى يعـذبنى ••• يقلقنى •

كان لقائى معها فى المكتبة • كنت أذاكر تأهبا لاجتياز الامتحان • كل من فى القاعة يعمل ليسترجع وقتا أضاعه فى غير الدراسة وفى غير اللهو • سنة كاملة للعمل كثير وشهر منها يكفى لمن يريد النجاح • قد تكون صاحبتى من الذين يصبرون على العمل المتواصل سنة كاملة • أما أنا فمن الذين لا يدخلون المكتبة الا لشهر واحد لذلك لم أشاهدها من قبل • كانت تتألم مع «Proust» وتتجول مع «Montesquieu» وكنت أطفو مع «Archimède» وأحترق مع Carnot فى موازنة العمل بالحرارة فتشعبت العمليات وتداخلت الارقام فرميت بقلمى يائسا ورفعت رأسى أشده بين يدى وأفرك شعـرى فى اضطـراب وغيظ • نظرت فاذا صاحبتى تبتسم وقد أخذها انفعالى •

ــ أنت تجدين متعة فيما تدرسين لذلك تعملين فى هدوء واطمئنان •

ــ لماذا لم تختر الآداب إذن ؟

ــ لا أستطيع أن أصبر على الأدب أكثر من هواية ثـم لا يجب أن يكـون كلنا أدباء •

سمعت نقر حافظ المكتبة على الطاولة يأمرنا بالسكوت فخفضت صـاحبتى رأسها وعدت الى قلمى أرصف أرقامى المبعثرة •

ماذا لو لم يكن لقاء ؟ !•••

يعاودني التساؤل فتؤلمني الذكرى ··· تفصل بعضي عن بعضي فأبقى مشدوها حائرا ··· أدفع الذكرى للدنو من الماضي فتتعثر على حافة الزمن··· أراوغ الماضي ليقاربني فاذا هو ثقيل جامد ·

« لا تفزع من عفوية الاحداث · عليك بأن تفهم الظروف بأن تقيس الاحداث » ·

هذه النفس الساذجة دائما تسائلني وتأمرني ··· على بأن أفهم الظروف ! كما لو كانت الظروف لغزا والاحداث مفاجآت تترصدنا لتختبرنا ·

الظروف تفاعل الزمن مع المكان والاحداث صدى متوتر لجلبة هذا التفاعل · لولا وجود صاحبتي لما تم اللقاء ولولا حساسيتي لما حصل لى هذا الاضطراب وهذه الحيرة · المكان مضيق فضائي والزمن تركيب ذهني وأنا من الذين لا يؤمنون بالصدف ·

يقيني لو شاهدتها في مكان غير المكان وفي لحظة غير اللحظة لكانت نفس الحيرة ونفس الاضطراب ··· هي التي نسجها خيالي نقاوة وحنينا فوجدتها حقيقة قاسية في يوم كانت فيه حتمية اللقاء فرضا على الاحداث والاشياء ·

كان اللقاء ولم أشعر بوطأة الوعي الحسي تعصرني إلا عندما رفعت رأسي فابتسمت لى · تعددت لقاءاتنا تلقائيا وكانت في المطعم الجامعي أو في المكتبة ثم في المشارب والملاهي وعندما أطل الصيف كنا نرتاد الشواطىء · هي تحب اللهو والمرح وتخلق الفرص لأكون معها · كان هذا يسليني بعض الشيء فجاريتها ولم أدر ماذا يكون مصيري معها ·

توترت الاحداث وتفاعل غموضي بكبريائها فتحولت السلوى الى قلق وخوف ··· خفت أن يكون كبرياؤها طبيعة فيها فيستحيل على عناء المداراة ·

« لنسو الامور ونحاسب أنفسنا قبل أن تسبقنا الاحداث · فأنا أود بقاء هذه العلاقة بيننا » ·

خاطرة بدت لى سخيفة ··· حقيرة · لا فائدة في مراوغة الاحداث لينته كل شيء فما عدت أطيق هذا العذاب وهي تلهو بجانبي ولا تحس بي ·

ضربت لها موعدا فجاءت ولم تصافحني فلم أؤاخذها ··· لم أؤاخذها

عن صمتها طول الطريق وعلى محياها انقباض وتبرم . كانت متحذرة وكنت متحرجا . هى ترى فى الظمآن الذى يبحث عن رحيق أنوثتها ... هى ترى فى الانسان الذى يصلب ذاته على عمود الشهوة ... هى ترى فى المخاتل الذى يشترى الفرص بالطمع . وددت لو أصرخ فى وجهها وأكشف لها عن حقيقتى ... حقيقتى إحساس وصاحبتى تفهم ولا تحس .

الشمس تحرقنا بوميضها ... تغسلنا بنزيف الحمى ولا نهذر . الطريق يطول ويمتد فخفت أن أنتهى قبل أنتهاء الطريق !

أحسست بركام الهواجس يزن على صدرى ... ركام حسبته يجرفه سيل الأيام ولم يدر بخلدى أن سخافة المداراة ستنتهى بى يوما الى مستنقع الشهوة فأصبح من الملطخين بقذارة الجنس .

ـ أنا لا أحبك .

تؤلمنى وخزة ذاتيتها ويرهقنى عنادها فيعاودنى الاحراج ليقذف بى فى مجاهل الادراك الحسى ... وذهنى لا يعى .

كل شىء عاد هينا إلا أن أتعثر على أنقاض كبريائها فأسقط ... والطريق ما زال طويلا !...

لم أفكر قط فى المصير . أعمانى التجاهل والخوف . غررتنى حساسيتى فشعرت بالنهاية وليست نهاية . كرهت عندما وجب الحب .

رد فعل لم أقو على إجهاده . عفت هذا التبرم وهذا التهرب الكاذب . لأخلص نفسى من هذا العناء السخيف وأريح أوصالى من هذا الاضطراب المفتعل . ليزل كل شىء فما عدت أطيق حماقة الأنوثة وضحالة الجنس .

ارتعشت يدى لتجس عنقى . وأن صوت من وراء لسانى : ... ومتى بحت لك بحبى ؟

ـ إشاراتك ... تصرفاتك ... قسماتك . كل ما فيك يدعونى إلى أن أحبك ، حاولت ولم أستطع ذلك .

ـ قهرتك هذه الدابة الكامنة فيك .

ـ لا تحاول مغالطتى .

ـ أذهلتك قبلات العشاق فجعلت من الحب خرافة تعيشينهـا فى حنايـا المقاصف وترع اللهو ٠

ـ خرافة الحب فى رأسك ٠٠٠ أنت تخجل من نفسك ولا تستطيع مجاراتى٠

ـ لعبة خطيرة لا أريد القيام بها ٠

ـ لانك تخاف النهاية ٠٠٠ أنت تعيش فى منغلق نفسانى وتـدعى فهـم الحقائق بغموضك ٠

ـ أنا لم أدع شيئا ٠٠٠ أنت تصرين وفى إصرارك غرور وتهاون كاذب ٠

وضعت يدى على جبينى المبلل ٠٠٠ وجهى ينضح وقطرات العرق الباردة تغسل رقبتى ٠٠٠ تسيل بين كتفى ٠ تملكنى الغيظ والقلق وملأ عينى ضباب باهت فلم أعد أر البحر ٠٠٠ لعل الموت هكذا !٠٠٠ شعـور رقيـق يدغـدغ الأوصـال وضبـاب أزرق يخنـق الجسـم ٠ استسلمت فى اطمئنـان لهـذا العارض فشعرت بتثاقل يجمد أعصابى وبارتخاء يخنق عروقى ٠ تعطل دماغى عن التفكير وتراءت لى صور ينسجها شرار يشتعل ويتبخر ٠ صور تسيل وتتجمد فى سرعة خاطفة والاشياء من حولى تعظم وتصغـر فتحيطنى لتخنق جسمى أو تبتعد عنى فتوحشنى ٠٠٠ وفى غفلة الخيال الحالم تشابكت الصور والاشياء فانهمرت على أشلاء وأشباحا ٠٠٠

لم أدر كم دام هذا العارض ولكنى شعرت بجسمى ينتفـض فى انتفـاضة عصبية فاستويت على الرمل وعدت أنظر البحر فى ذهول ٠٠٠ أيقنت أنى لا أستطيع أن أكون بدونها ٠ هى التى نسجها خيالى نقاوة وحنينـا فوجدتهـا حقيقة قاسية فى يوم كانت فيه حتمية اللقاء فرضا على الاحداث والاشياء ٠

ـ إنى أتركك وأبقى معك ذكريات مبهمة ٠ لا أقوى على تحمل غموضك وأنت لا تستطيع ترويض هذه الغريزة الكامنة فى ٠ أريد علاقة من نوع آخر : كره كاذب ٠٠٠ لذة رخيصة ٠٠٠ عطف ذاتى ٠سأكون سعيدة مع رجل لـه المنصب والاموال ويستطيع ترويض هذه الغريزة الكامنة فى ٠ أنت تجتـر الأحلام وتمضغ الذكريات ولا يصلح بك العيش مع بنـات الارض فى هـذا القرن العشرين ٠

ع٠ ب٠

تونس فى 15 جوان 1969

الموت والحياة

شعر : رياض المرزوقي

(الى حماتي الغالية ف.)

الموت :

1. — منتصف اللَّيلْ
مقبرة عمياءْ
وساعة تدُقْ
أحسّ بالبَلاءْ
والشرّ والويل
قلبي أنا .. يدقّ

2. — قبر يُفتحْ
ويُطلّ شبحْ
كوم عظامْ
وعلى الانغامْ
رَقَصَاتُ مفاصلْ
رَعَشَاتُ جماجمْ ...

3.— ألحانُ جنازَهْ
في أذنيْ
أفتح عيني
أنظُرُ في المرآة

نـابَـا مصاصٍ دمـاءْ
نَهَـلاَ مِن رقبَـهْ
وعـربة الامـواتْ
تحملني العـرَبَـهْ .

الحيـاة .

1. — وأفيق بِبُطْءٍ ... أتكـاسَلْ
أتثنّى ... أتَحـامـلْ
وعيوني تحضِنُ أجملَ صورَهْ
مـا أعذبَهـا كالاسطورة !

2. — عينـاك إذْ تضمُّنـي
أحسّ بالشّمْسِ وبالنّهـارْ
عيْشي الذي قدْ كان لا يهُمُّني
يَسْكنني كَشُعْلةٍ من نـارْ ...

3. — حمـامتـي ...
مـا أجملَ الْحيـاة !
أنسى ليـاليَ الطـويلهْ
أغسِلُ أفكـاري الثّقيلهْ
أنـامُ فوقَ وهْمي
وموجة واحدة تحملني كالحُلْمِ ...
أعيشُ من أجلِك ... يـا فضيلهْ !

د. م.
بنزرت — 70/7/22

في امكان الادب الحماسي في عصرنا الحاضر

بقلم : محمد اليعلاوى

في الاصطلاح اللغوى عندنا ، يكاد ينحصر مدلول الحماسة فى الشجاعة الحربية ، وفى القتال من أجل فكرة سامية كالعقيدة او الحرمة او الشرف . وتوسع مدلول الكلمة فى الأدب ، فضم الشعر الذى ينظم فى هذه الأغراض ، اما للتحريض على القتال قبل الموقعة ، واما لاستعراض تفاصيل الوقعة بعد النصر ، استعراضا فيه الفخر المغالى والنخوة الشديدة .

واشترك فى هذه الدلالة جملة من المفردات ، كلفظة « الحمية » التى تعنى العصبية والنصرة والدفاع والنضال ، والأنفة من الشىء المستكره الذى فيه مساس بالشرف والمروءة . وكذلك كلمة « الحميا » فى معنى الغضب الشديد ، وفى معنى الحرارة المكتسبة من عنفوان الشباب أو من حر الشمس وحتى من الحوامض المسكرات . ونجد ايضا فى اطراف هذا المعنى لفظة « الحمى » ، وهو كل منطقة حرام يجدر بالمرء أن يحميها ويضحى فى حرمتها بحياته . والحمى يتمثل فى البيت والدار ، ومنازل القبيلة وفى مسقط الرأس ، ثم فى الوطن الواسع ، وقد سمى ابن الرومى داره وطنا فى بيت معروف :

« ولى وطـــن آليــت ألا أبيعـــه وألا أرى غيرى له ـ الدهر ـ مالكا

وفى الأناشيد الوطنية الحماسية ، كثيرا ما نسمـع تمجيـدا لـ « حمـاة الديار » بمعنى « حماة الحمى » .

* * *

هذه المعانى تعرف فى الأدب الغربى بعنوان « ملحمة Epopée » و « أدب ملحمى Littérature épique» . والملحمة عندهم هى القصـة الشعـرية التى تروى ـ فى صياغة أدبية رائعة ، وفى خيال شعرى عجيب ـ أعمالا جبارة يقوم بها بطل فذ ، كعوليس فى الأوديسا ، وآخيل الاغريقى وهكطور الطروادى فى الالياذة ، او مجموعة أبطال كملوك ايران فى الشاهنامة الفارسية . وقد أحسن المعاصرون ترجمة العبارة اليونانية بلفظ « ملحمة » لان مادة « لحم » فى اللغة

تدل هي الاخرى ، على القتال الشديد الذى يختلط فيه المقاتل بعدوه ويلازمه حتى كأنهما لحمة واحدة . الا أنهم ـ أعنى المعاصرين ـ حادوا قليلا بالكلمة فألحقوها بالغرض الشعرى المعروف عندنا قديما بـ « حماسة » و « أدب حماسى » .

وبهذا الاسم ـ حماسة ـ سميت المختارات الشعرية الأولى التى كان الأدباء يجمعونها لغاية تعليمية تدريسية كـ « حماسة » أبى تمام حبيب بن أوس . وانما سميت حماسة لأنه صدر مختاراته بأفضل غرض فى نظره ، وهو شعر الحرب أو شعر الحماسة .

ولكن من النقاد المعاصرين من قصد قصدا آخر بتحويله مدلول الملحمة الى الشعر الحربى : ذلك أنهم ، باكتشافهم للملاحم اليونانية ، ووقوفهم على مدى تعلق العقلية الغربية بالالياذة مثلا ، تملكهم مركب النقص لخلو أدبنا من مثل هذه القصص البطولية ، فدفعتهم غيرتهم على تراثنا الى الاعتزاز بهذا الشعر الحماسى ، وحملتهم الحمية على رفعه الى مستوى الملاحم العالمية ، فسووا بين الملحمة والحماسة .

ومنهم من اعتبر فقدان هذه القصص من أدبنا قصورا وعجزا وعقما ، فانبرى العلامة سليمان البستانى لنقل الالياذة الهوميرية الى العربية ، وقدم لها ببحث نظرى مطول حلل فيه مقومات الملحمة ، وعلل تقصير العرب فيها . وبعد هذا الدرس النظرى ، بادر بعض شعراء العصر الى التطبيق فألف أحمد محرم « الالياذة الاسلامية » وقد ركزها على سيرة الرسول (صلعم) ، فيقول فى وقعة بدر :

« جد البلاء ، وهب اعصار الردى   يرمى بأبطال الوغى ويطوح
« نظر النبى فضج يدعو ربه :   لا هم نصرك ! اننا لك نكدح
« ... الله أرسل فى السحاب كتيبة   تهفو كما هفت البروق اللمح »

وألف حافظ ابراهيم « العمرية » فى مناقب الفاروق عمر بن الخطاب :

« حسب القوافى ، وحسبى حين ألقيها   أنى الى ساحة الفاروق أهديها »

وهاتان ملحمتان دينيتان جامعتان ، وقد ألفت الملاحم الحزبية كمطولة « أهل الغدير » لبولس سلامة ، فى مناقب أئمة الشيعة .

* * *

ولكن هذه المحاولات المعاصرة أخفقت • ولعل سبب اعراض الجمهور عنها هو تخلص الشعوب من العقلية البدائية التى تؤمن بالخرافات والخوارق للعادة ، ودخولها فى عصر العقل الايجابى والعلم ، فكأنها انتقلت من مرحلة الخيال الى طور الواقعية ، وذلك بفضل سيطرة الانسان على قوى الطبيعة التى كانت تخيفه لانه لا يفهمها ولا يعرف كنهها ، فيجعل لها عليه عظيم السلطان • ومعلوم أن كل مجهول مخيف ، فاذا حلل وعرف وعلم ، عادت الطمأنينة الى القلوب ورجعت الثقة بالنفس • والمجهول فى وقتنا الحاضر ، وقت الاكتشافات الفضائية وخروج الانسان من محيط أمه الأرض الى أجواء أخرى ، لم يعد البرق ولا الرعد ولا كسوف الشمس ، وانما هو كوامن النفس البشرية ، وعوالمها الغامضة التى بدأت بحوث « فرويد »(S. Freud) وأتباعه تزيح عنها بعض الحجب فى مستهل هذا العصر ، فدفعت بالأدب المعاصر الى نواح جديدة داخلية ، وأبرزت للبطولة مفاهيم غير معهودة •

ونحن ، بصرف النظر عن هذه الملاحم المفتعلة ، لا نعتبر فقدان شاهنامة أو انياذة من أدبنا نقصا ولا قصورا : ذلك ان خيالات الشعوب تختلف ، ومهابط عبقرياتها تتباعد ، فكما لا يخطر ببال أحد أن يعيب على الانجليز فقرهم فى الموسيقى بالنسبة الى الألمان ، ولا على الاسبان قلة الاوبرا عندهم بازاء الطليان وثروتهم فيه ، لا يصح أن نعيب على العرب ، كما فعل أبو القاسم الشابى فى نظرته الى خيالهم الشعرى ، ضيق مخيلاتهم لانهم لم يصوروا آلهة تتطاحن فوق جبل الأولمب •

على ان فى ادبنا الشعبى مطولات ملحمية غذت عقول أجدادنا وآبائنا طيلة دهور ودهور ، وشوقتهم بما فيها من مفاجآت غريبة ، وبطولات خارقة للطاقة البشرية ، وتخيلات عجيبة : تلك هى السير الكبرى مثل سيرة « عنطر » وسيرة الملك سيف (اليزن) وتغربة بنى هلال • كان القصاصون الشعبيون ، الى عهد غير بعيد ، يتغنون بمغامراتها على نغمة الرباب الموحدة المكررة ، فى حلقات من الجماهير المأخوذة المشوقة • وكانوا خبراء بأسلوب التشويق ، يقطعون روايتهم فى الموقف الشائك ، فيتركون عنطر فى السجن ، والبطل فى مأزق متلاحم حتى يغروا السامع بالرجوع اليهم • بهذا كان هؤلاء القصاص – ومعهم شهرزاد حين تسكت عن الكلام المباح – مكتشفى فن « السوسبانس » قبل هيتشكوك بمدة •

انتهى عصر البطولات الشعبية وتغيرت المفاهيم وتنوعت الأهواء والأذواق ،

فصارت هذه البطولة ، على حد قول أحد أدبائنا ، باطلة ، او كما قال : البطل باطل • بطل البطل وقضت عليه التقنية الحديثة ، وعلم التحليل النفسى والسيطرة على المادة والتغلب على قوى الطبيعة • وفى متحف البطولات ، غار نجم أبى زيد الهلالى ، والفتى ذياب ، والجازية ، وذهبت ريحهم وولى ملكهم ، وعوضتهم بطولات غربية فى صورة طرزان وزورو فى زماننا ، وصورة جامس بوند فى الوقت الحاضر • لم يعد الصبيان يعتدون بالسيف والرمح والقوس ، بل بالسلاح الحديث الذى يكون فى حجم القلم ، ومع ذلك يفجر قلعة ، ويعزز بجيش من آلات الاشعاع ، والميكروفونات وآلات التصوير الدقيقة ، تلك التى يسميها الأميركان « قادجات gadget » • اندثرت تلك البطولات التى كانت تجعل للمروءة وللكرم والنجدة والصدق والعفة أكبر حساب ، وغلبتها بطولات السينما والتلفزة ، بل غلبها الغناء المائع ، والرقص الماجن ، والصور المثيرة للجنس • وقد وصف رشاد الحمزاوى بعض هؤلاء الـ « فداوية » فى قصة « بودودة مادة » وصور لنا نجيب محفوظ نهاية قاص من قصاص المقاهى فى « زقاق المدق » غلبه المذياع فلفظه المقهى وأسكت الى الأبد • ولعل هذه الملاحم الشعبية جديرة بعناية من يصقلها ويختصرها ويحذف منها المكررات ، ويهذب لغتها ، كما فعل السيد الطاهر قيقة أخيرا فى جمعه لبعض أقاصيص بنى هلال ، فيجد فيها ناشئتنا ما يغذى اعجابهم الفطرى بالبطولة وميلهم الطبيعى الى المغامرات •

وفى الأدب الفصيح ، نجد شعرا حماسيا ذا نفحات ملحمية ، فيه تحريض على القتال ، ودعوة الى الجهاد ، وفيه وصف للمعارك والسلاح والخيل ، واستعراض للبطولات ، وفخر بالنصر ، ونخوة بالظفر • ذلك هو الشعر الذى برز فيه عنترة ــ الحقيقى ــ وعمرو بن كلثوم وعمرو بن معدى كرب ، وكانوا كلهم مقاتلين ، ولمع فيه نجم أبى تمام والمتنبى وابن هانىء المغربى ، وكان هؤلاء وصافين لأبطال الجهاد ضد البيزنطيين كالمعتصم وسيف الدولة الحمدانى والمعز الفاطمى•هذا الشعر يطفح بالحمية، حمية قبلية عند الجاهليين، وحمية اسلامية جهادية عند الآخرين الذين وصفوا الفتوحات الكبرى ، او تعرضوا الى الحروب الصليبية • هذه الحمية الدينية نجدها حتى فى القرن العشرين : فقد كانت عامة شعبنا تطلق على الفرنسيين لفظة « نصارى » او « روامة » ، وشعارات كثيرة من الاحزاب السياسية التحريرية فى العالم العربى كانت تنزع منزعا اسلاميا سلفيا ، وتدعو الى مقاومة الاستعمار باسم الدين • وكان نشيد ثوار الريف بالمغرب عام خمسة وعشرين لا يرى فى الاسبان الا نصارى ، فيقول فى مطلعه :

« بنى الوطن ، بنى الوطن ، تقدموا تقدموا ، الى النصارى !٠٠ »

وهذا الشعر الحماسى يجعل للمرأة سلطانا عظيما على الرجال : فهى التى تحرض على القتال ، وتوبخ القعدة ، وتندد بالمتخاذلين ٠ فالنساء التغلبيات مثلا يهددن أزواجهن فيقلن :

« ٠٠٠٠ لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا »

وهذه الشموس ، احدى فتيات جديس ، تصب جام غضبها على قومها ، وقد تهيبوا بطش العمالقة :

« فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشية الفحل »

فكأنما المرأة هى الحمى الذى يحمى ، وهى حسيب البطل فى أعماله ، إليها يقدم عنوان بطولته وفيها يفكر حين يهب للقتال ، واياها يشهد على اقدامه ، فيقول عنترة لعبلة :

« هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ٠٠٠؟

« يخبرك من شهد الوقيعة أننى ٠٠٠ »

وقد انتقل هذا الجانب من الفروسية الى الأدب الغربى ، بل الى عادات أوروبا وتقاليدها فى العصور الوسطى ، فترجموا له بعبارة مماثلة ، فيها الفتوة وفيها ذكرى الفرس الذى يحمل صاحبه الى المعالى ، وهى عبارة Chevalerie وما يشتق منها فى اللغات اللاطينية : Caballero - Cavalleria وصارت بطولات الغربيين تقدم قربانا الى السيدات الرفيعات ، فيحمل الابطال ألوانهن ، أى لواءهن ، وباسمهن يقاتلون ، ويتفانون فى طلب رضاهن والاحراز على اعجابهن ، ومنذ قرن قال ستاندال (Stendhal) ان الحب أوله اعجاب Admiration ٠ وقد أغرقوا فى هذا التقديس للمرأة حتى أخذ الكاتب الاسبانى سيرفانتاس يهزأ بهم فى قصته الخالدة عن دون كيخوتى ، ودولشينيا « سيدة أفكاره » حسب العبارة المألوفة آنذاك ٠ ولعل ما نراه اليوم من اشهاد النساء والفتيات على نوع عصرى من البطولات — وهو البطولات الرياضية — لعله من بقايا هذه الفروسية : فالبطل الفائز فى السباق يتلقى ، فى خاتمة عدوه المضنى — باقة الزهور وقبلة الاعجاب ، لا من شيخ ملتح ، بل من فتاة وسيمة ٠

هذه بعض عناصر الشعر الحربى فى أدبنا تؤهله لأن يكون شعرا ملحميا ، فلا ننس ان الالياذة تصف بعض أيام حرب طروادة ، وان هذه الحرب اشتعلت

نيرانها بسبب امرأة ، وهى الفاتنة هيلانة ، هرب بها باريس الطروادى وكان قد نزل ضيفا على زوجها مينيلاس · ففى ملحمة هوميروس ايضا نجد هذين العنصرين : فكرة الحمى والحرمة ، وسلطان المرأة على أعمال الرجال ·

* * *

ولكن موضوع حديثنا هو التماس الميادين التى يمكن للأديب المعاصر أن يستخدم فيها الحماسة الطبيعية عند الناشئة ، ويسخر فيها حميا الشباب لخدمة الأدب الرفيع · وهنا ألاحظ أن الفكر المعاصر قد جدد الاعتبار فى شأن البطولة والشجاعة ، وفى خصوص الأدب الحماسى عامة · تغير مفهوم الشجاعة بفضل دراستنا لكثير من الشخصيات البطولية ، فى التاريخ ، وفى أدب التخيل والابتكار ، وحتى فى الحياة المعيشة المشاهدة ، فصرنا ننفر من الأبطال القدامى لما يعترى سيرهم من رتابة وتشابه أحوال ، لان الشعراء كانوا يصفونهم فى صورة واحدة ثابتة قارة ، فى انتصار دائم ، واقدام متواصل ، وكمال مستمر ، فلا خوف يأكل عزيمتهم ، كأنهم سبائك فولاذ مصبوبة ، مهما تقلبها تجدها صلبة ملساء ، ولا ضعف يعتريهم ولا تردد ، كأنهم أبطال الأفلام الأميريكية من فصيلة الواسترن ، ولا تخالط الصفات السلبية طبائعهم قط ، بل هم يدورون فى فلك الثنائية المطلقة والمانوية الدائمة ، مثل أشخاص المنفلوطى او قصص الكونتاس دى سيقور : فالخير كله من جانب صاحبنا ، والشر كله من الجانب المقابل ·

وانما الانسان ، كما نعلم ، عالم من المتناقضات فيه ، كما يقول أبو العتاهية :

« لدواعى الخير والشر دنو ونزوح »

والبطل الحق فى نظر اليوم ، هو ذاك الذى يبرزه لنا الفنان فى صراع داخلى مع دواعى الضعف والخذلان والاحجام ، وفى نضال ضد أهواء النفس الجموح ، وفى تردد وتساؤل وبحث مضن عن الطريق السوية فى تشعب المناهج وتناقضها · بمثل هذا التحليل النفسى الصادق ، قرب الينا كورناى (Corneille) صورة بطله « السيد » Le Cid فى ذلك « الحوار الداخلى » المؤثر الذى يظهر فيه رودريق ممزقا بين أمرين « كلاهما مر » : اما ان يثأر لأبيه فيقتل أب شيمانة ويفقد حبها ، واما أن يغضى على الاهانة فيخسر مروءته وتذهب فتوته أدراج الرياح · مثل هذا البطل الذى ينتصر على نفسه قبل ان ينتصر على عدوه أقرب الينا من ذلك الذى يمثل قوة قاهرة سادرة فى طريقها لا تعرف الكلال ولا الفتور ، كأنها قاطرة تدك الجبال ، أو دبابة صماء · على هذا الاساس ،

بنى فهمنا لعبارة « الأدب مأساة أو لا يكون » المشهورة فى ربوعنا ، فليس معناها أن لا أدب الا اذا كان باكيا متفجعا حزينا ، يصور الذئاب تعوى فى العراء ، والسدود تنهار بين العواصف والأعاصير ، وانما معناها ان لا أدب ان لم يكن مبنيا على صراع ما ، كالذى يجرى فى النفس بين قوى متناقضة ، ومصورا لكفاح يصير به الانسان ، حسب كلمة السيد محمد مزالى فى مؤتمر الأدباء العرب حول البطولة ، « هذا الانسان الذى خصه الله بالعقل وكرمه به ، سيدا يخضع شؤون نفسه لزمام ارادته » ٠

فالشجاعة لم تبق محصورة فى الحرب ، مخصوصة بالسلاح الجارح والعتاد القاتل ٠ ولنفرض ان حلم الانسانية القديم فى إلغاء الحرب واحلال السلم الدائمة تحقق يوما ، فهل تبطل الشجاعة ويندثر رهط الأبطال ؟

بل ان ميادين الشجاعة لا تحصى وسلاحها لا يحصر ٠ فالدفاع عن حريات الشعوب والجماعات والأفراد ، كما فعل سارتر والمثقفون الفرنسيون ابان كفاح المغرب العربى ، وكما فعل برتراند روسل فى مظاهراته العديدة ضد الحرب ، وضد السلاح الذرى الفتاك ، وكما يفعل الطلبة الأميركان ضد حرب فياتنام الشنيعة ، هذا الدفاع هو أول ميدان لهذه الشجاعة الجديدة التى لا تحمل سيفا ولا تركب جوادا ٠

وكذلك رفع كلمة الحق مهما كانت المخاطر ، ومقاومة الظلم والكذب والباطل، مهما زوقتها الدعايات المنتصبة المنتصرة ، والتصدى لجور الحكام كما فعل عمرو بن عبيد المعتزلى وابن المقفع ازاء المنصور العباسى ٠

وكذلك العمل على اقرار عدالة اجتماعية حقيقية ، والمطالبة بصرف أموال الأمة فى وجوهها الشرعية ، كما فعل أبو ذر الغفارى ازاء عثمان وحاشيته الأموية ٠

وكذلك الاستماتة فى سبيل عقيدة او فكرة او دين ، شأن الامام أحمد بن حنبل فى محنة خلق القرآن ، والامام ابن تيمية بعده : لحق كل هؤلاء الأذى ، وأذيقوا العذاب والتنكيل ، ولم يتراجعوا ولم يلجأوا الى مداراة ولا الى تقية ، رغم ازورار الأتباع عنهم والأصحاب ٠ وقد فهم السلطان ان سلاح ابن تيمية هو الكلمة والكتاب ، فمنعوه القرطاس فى حبسه والقلم ، فكتب بالفحم على جدران سجنه ٠ واذكروا بطولة غاندى القريبة ومدى ايمانه بشرعية كفاحه

الصامت ضد الانجليز ، فقد انتصر وتحررت القارة الهندية بفضل هذه الشجاعة الأدبية النادرة الخالدة ٠

وهناك بطولات صامتة ، وشجاعة هى شجاعة « كل ساعة » حسب عبارة جان جوراس (J. Jaurès) ، كأن نتخذ عملا فنقوم به على أحسن وجه ، دون طمع فى مكافأة ولا انتظار لاطراء ، ولا مداراة لرقيب ولا تزلف لمدير ٠

والشجاعة أن نعترف بخطئنا ، ونقبل النقد ، بله الانتقاد ، والا نعتقد اننا على صواب دائما فى اجتهادنا وتصرفنا ، وألا نسارع الى رمى منتقدنا بمرض القلب ، والحقد الدفين ، والنية المبيتة ، والمنافسة على منصب او جاه ٠ وقديما قال أبو حيان التوحيدى على لسان الخليفة المعتضد : « كيف نقول للناس : كونوا صالحين أتقياء ، مقبلين على معائشكم ، غير خائضين فى حديثنا ، والعرب تقول فى كلامها : « غلبنا السلطان ، فأكل خضرتنا ولبس فروتنا ؟ » ويضيف : « وحنق المملوك على المالك معروف » ٠

* * *

وقد أبدو ، بهذا التحديد الجديد للشجاعة ، من دعاة الالتزام ، فأتعرض الى سخط من يدعو الى الادب المتحرر من كل إلزام ٠ وفى الحقيقة ، أرى أن كل أدب ملتزم ، سواء قصد صاحبه الى الاصلاح ، أو أراد تفجير الطاقات الانسانية الكامنة فى مجاهل النفس ، أو طلب وجوها جديدة من الفن والجمال تعزز فى الانسان شعوره بالتقرب الى خالقه ، والتشبه بمبدعه ٠ حتى الأدب الترفيهى يكون اصلاحيا ، فلنذكر الجاحظ فى بخلائه وموليار فى مسرحياته ، وقديما نقش اليونان على مسارحهم : بالترفيه نهذب وبالضحك ندعو الى الاصلاح ٠ وفى حديث منسوب الى الرسول (صلعم) : أريحوا النفوس بشىء من الباطل فانها تصدأ كما يصدأ الحديد ٠

فلا أؤمن اذن بالأبراج العاجية ، وخاصة اذا قصد بها الهزء والتهكم والتحامل : فقد كان المعرى ـ وهو رهين محابسه ـ ملتزما ثائرا مصلحا متحمسا ٠ وكان الشابى ـ وهو المغرق فى الغنائية ـ شاعرا حماسيا مصلحا فى صرخاته المدوية ٠ وكذلك المدرس القائم على تربية النشء وتكوين العقول والطاقات ، وكذلك الطالب الذى يدأب على تجسيد شخصيته وتفتيح زهرتها من الأكمام والبراعيم ٠ كل هؤلاء ملتزمون ، وحتى ذلك التلميذ الذى كنا نتناقل أخباره فى صبانا : لقد أعيا أستاذه الفرنسى بوطنيته الفياضة ، فتطفو على صفحة الانشاء سبا للاستعمار وشتما لرجاله ، فطلب منه يوما أن

يصف قدرا ، قدرا لا غير ، أملا في الخلاص من الحماس الدافق والوطنية الثائرة ، فاذا بصاحبنا يصور قدرا خاوية ، على نار خامدة ، وحولها صبية جياع ، وأم مسكينة يسبح لسانها بلعن فرنسا لأنها سجنت زوجها الوطني الغيور الخ ··· الخ ··· وهكذا تصبح القدر وطنية ، كما كان حمار أبي يزيد خارجيا ، وسيف ابن هاني شيعيا :

« لي صارم ، وهو شيعي كصاحبه   يكاد يسبق كراتي الى البطل »

ولعلي بالغت في الاشارة الى الوطنية · ذلك ان فكرة الوطنية حديثة عندنا ، بل هي وليدة هذا القرن ، لأن أدباءنا ومفكرينا كانوا في مدة غير بعيدة ينتصرون الى فكرة الـ « أمة » الاسلامية ، وهي امتداد للفكرة القديمة التي تقسم العالم الى قسمتين : دار اسلام ، ودار حرب ، اى دار جهاد · انظر دواوين شعراء القرن السالف وأوائل هذا القرن ، تجدهم يتأرجحون بين الوطنية الاسلامية الواسعة التي تدين بالولاء للسلاطين العثمانيين ، والوطنية الترابية الصرفة · بل نجد مثل هذه الازدواجية حتى عند بعض قادة الحزب الدستوري القديم : كانت أنظارهم ـ وأحيانا خطاهم ـ تتجه نحو الأستانة أكثر مما يولونها شطر القيروان أو تونس أو الجريد ·

ولحداثة هذه الفكرة الوطنية عندنا ، رأينا الرئيس الجليل وسمعناه في خطب عديدة ، يؤكد حب الوطن في النفوس ، ويغرس الحمية الوطنية في قلوب الشباب · فالوطنية هي أول ميدان خليق بعناية الأديب ، وأبطال الوطنية الكثيرون عندنا ، لا تزال تضحياتهم مفتقرة الى من يحييها ويبعثها على صعيد الأدب الرفيع · وان أولى هذه البطولات بتفتيح قريحة الشاعر الحماسي والأديب الملتزم ، لهي سيرة المجاهد الاكبر في كفاحه الطويل المتواصل ، وفي جهاده الذي حمل معنى من أسمى معاني الشجاعة والبطولة ، وهو الثبات والمداومة والصمود ، رغم العزلة في المنافي والسجون ، ورغم تراجع الصحب ، ومغريات الخصم · لقد علمنا قائد الأمة ان البطولة لا تكون طعنة عابرة ولا جولة يوم ، بل هي علم وعمل ، وتفكير وعزيمة وثبات ·

ثم ان لنا بطولات أخرى مجهولة ، وهي سير « أبطال الظلام » حسب عبارة مالرو (A. Malraux) ، ونعني بهم جنود المظاهرات الشعبية ثم المقاومة المسلحة · فمن يشخص لنا يوما صورة ذلك الشاب من المكنين الذي « تدستر » في صباحه ، واستشهد في مسائه ، فلم يمض بين التحاقه بصفوف الحزب وتضحيته بروحه في سبيل الوطن الا يوم أو بعض يوم ؟

ومن يحيى لنا يوما صفحة ذلكم الشهيد الذى وقف أمام فرقة الاعدام ، على عتبات الفناء ، فقدموا اليه السيجارة الاخيرة ، سيجارة المعدومين ، فرفضها لأن الدخان يدمع عينيه ، فخشى أن تحمل دموعه محمل الهلع من الموت ؟

ولعلنا فى حاجة الى مزيد من التأكيد لهذه الوطنية فى نفوس من انصرف عنها ونفر منها : ينصرفون عن الوطن جريا وراء وطنية عالمية واهمة ، وفاتهم ان ابطال ستالينغراد حين أوقفوا الزحف الالمانى بصمودهم ، فبدافع النضال عن أوطانهم وديارهم وتراثهم وعاداتهم ، لا بدافع وحدة عقائدية عالمية ، وكذلك الشاعر الوار Eluard أو أراقون Aragon ، لقد نظما شعر المقاومة ضد الاحتلال النازى لبلادهم ، فوسما شعرهما لا بمعتقد وايديولوجية ، بل بالوطن فرنسا .

وينصرفون عن الوطن جريا وراء المادة ، وسعيا وراء الرفاهية العاجلة ، فيستسلمون الى تجار العقول والمواهب ، كانهم بضاعة هذه السوق الجديدة لعبيد جدد ، عبيد المادة والمال brain - drain .

وينصرفون عن الوطن لانهم خلعوا كل أصالة ، فلا اللغة لغتهم ، ولا الدين دينهم ولا التاريخ تاريخهم ، بل يجنون على صبيانهم ، فيقذفون بهم الى محيط المنبتين بدعوى ضعف التعليم عندنا ، وانحطاط البيئة الثالثة .

وينصرفون عن الوطنية ويخلعون كل حماس ، ويخمدون كل حمية لانهم تملكتهم عقلية الاستهلاك ، وحضارة المتعة السريعة ، فلا هم لهم الا المنصب الرفيع ، والمرتب الضخم ، والمركب الفخم ، مع الجهد القليل ، والراحة الوافرة .

* * *

على ان من التعلق بالوطن ما قد يكون ضيقا فى التفكير ، وانطواء على النفس ، وانزواء عن حضارة العالم ، وانغلاقا يجر الى الركود . ذاك ما بدا لنا ــ وأرجو ان أكون قد أخطأت التأويل ــ من دعوة بعض أدبائنا الى « التونسة » المفرطة ، والتمسك بأمجادها البائدة ، فاندرج فى هذه الجاهلية التونسية ، الفخار بالكاهنة ويوغرطا والفيلسوف ترتوليان وأغسطنوس القديس، واندرج فيها الدعوة الى تعليم البونيقية بله اللاطينية، وأدرجت فيها أيضا خدمة الأهواء السياحية : فما من بطل قرطاجنى الا وله اليوم نزله الشامخ ، وما من غانية بونيقية الا ويلمع اسمها على واجهة مطعم عال او ملهى

رفيع ، وقد طما بحر هذه الفرعونية الجديدة فقلنا : لئن حق لنـا أن نشيـد بمعالمنا العتيقة كما فعل المرحوم خزندار بأطلال دقـة :

« للـه مسرحها البهيج تحوطـه طبقـات مدرجـه على استهـلال »

ولئن حق لبعض طلبتنا ان يقبلوا على تعلم اللغات الميتة حتى يساهموا فى الكشف عن ثروتنا الأثرية ، ولئن سلمنـا بان القـديس أغسطنوس صاحب الاعترافات افريقى تونسى ، فعلى شرط ان لا يكون هذا الانتساب المستحدث موجها ضد انتسابنا الحقيقى ، وهو انتماؤنا الى دنيا العربية وعالم الاسلام ، وعلى شرط ان لا نعوض أصالتنا الحقيقية بأصالة سياحية مفتعلة،وأن لا ينسينا حنبعل عقبة بن نافع ، ولا هاميلكار أسد بن الفرات ، ولا حنون سحنون ٠

ولا تكونن وطنيتنا ضيقة برفض ما يأتينا من الأوطان الأخرى ، وخصوصا اذا كان فكرة أو كتابا ، فكل ما يصنعه العقل البشرى ، وكل ما يحققه عـزم الانسان ، يصير رصيدا مشتركا بين الناس وحقا مشاعا ، ويصبح من كسب البشرية قاطبة ٠ وقد أعطانا الأميركان درسا فى هذه الوطنية الانسانية اذ جعلوا خطوتهم الأولى القصيرة على سطح القمر ، خطوة عظيمة للبشرية جمعاء ٠

م٠ ى٠

70/7/27

رؤيــــة

شعر : محمد الحبيب الزناد

مَـــا بَيْنَ عَيْنَيَّ الضَيِّقَتَيْنِ مَرَّتَيْنْ
وَمَـــا بَيْنَ الفَضَـــاءِ يَتَّسِـعْ
كَـانَتِ الاشْجَـارُ عَجُـوزَةً مُنْحَنِئَـهْ
وَالسُّطُـوحُ وَطِيئَـةً قَصِيرَةً
فِي تَسْطِيحِهَـــا يَبْـرُزُ النُّتُـوءُ فَجْـأَةً
وَيَبْـرُزُ الفَـزَعْ ؛
كَـانَتْ تَنْطَوِي عَلَى ظُنُونِهَـــا
تَلْتَـوِي عَلَى بُطُونِهَـــا ؛
كَـانَ فِيهَـــا أَنْجُم مُخْتَبِئَهْ
وَأَعْيُنٌ مُنْطَفِئَهْ .

* * *

مَـــا بَيْنَ عَيْنَيَّ الضَيِّقَتَيْنِ مَرَّتَيْنْ
وَمَـــا بَيْنَ الفَضَـــاءِ يَتَّسِـعْ
كَـانَتِ الشَّمْسُ صَرِيحَـةً وَوَقِحَـهْ
جَبِينُهَـــا الحَمْلُ والمَخَـاضُ وَالوَجَـعْ
فِي وَجْهِهَـــا الوَهْـجُ وَالـوِلاَدَةُ المُطَوَّحَـهْ

* * *

مَـــا بَيْنَ عَيْنَيَّ الضَيِّقَتَيْنِ مَرَّتَيْنْ
وَمَـــا بَيْنَ الفَضَاءِ يَتَّسِعْ
كَـانَتِ السَّمَاءُ بَرِيئَةً وَمُفْرِحَـهْ
تَسْكُنُهَـــا التَّقْوَى وَالـوَدَاعَةُ وَحُبُّ الخَيْـرِ
وَالـوَرَعْ

وَكَـانَتِ الدُّنْيَـا أَمَامِي سَطْحِيَّةً مُسَطَّحَهْ
يُعْـوِزُهَـــا التَّـدَبُّـرُ
يَنْقُصُهَـــا التَّـكَـوُّرُ .

م. ح. ز.

☆

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

- قد يحمل وجه الولد ـ بل وجسده وشخصيته ـ إمضاء والديه • هذا معنى قولهم « الولد نسخة من أبويه » • إنه همزة وصل بيولجية عميقة الجذور وثيقة العرى فيها يلتقى المختلف ويأتلف المتنافر وينصهر الكل ويتحد نتاجا فريدا ، مزيجا مشتركا طريفا كل الطرافة على انه واضح النسبة ينم عن أصله ، من حيث لا يشعر ، عند كل ذى نظر وفطنة • إنه أكثر من رباط عاطفى متين • إنه لقاء الحياة ـ كأعمق ما تكون ـ بين غريبين تقاربا وتجانسا فى صورة خلقهما المشترك •

- لا يبقى الموت من أعزائنا إلا المعدن الخالص والجوهر الابريز • لهو أشبه بالفنان دأبه فى عمله الاقتصاد والتركيز والصقل والتهذيب يجهد فى بلورة الصورة المثال واستخلاص اللب والروح من الشوائب والقشور والهوامش والأعراض •

- نحار وندهش لشدة تنوع الكائنات لا سيما الحيوان حتى ليبدو لنا هذا التنوع عبثا من العبث ضربا من السرف والتبذير الأخرق فى الطاقة لا نرى له معنى وحكمة •

هذه دودة غريبة الشكل تعترض طريقك فى وقاحة ولا مبالاة فتراها لأول وهلة كائنا طفيليا دفع به الى الوجود مجانا بغير ما داع ولا مبرر • ولكنك لا تلبث (أن تراجع نفسك) فتتواضع وتتضاءل وتتنزل شئت أم أبيت الى مستوى الزواحف والحشرات والديدان فأنت على سموك بعقلك وارتفاعك بوعيك لست بمحتكر للوجود ولا أكثر استحقاقا له أو تاصلا فيه •

- الحياة شيء لا يثمن ولا يعوض فالفن مهما يكن حظه من بلاغة التعبير وقوة الايحاء لا يستطيع أن يبز الحياة أو ينافسها أو يغنى عنها ويزهد فيها • بل ان ميزة الفن الرفيع وفضيلته أن يزيدنا تعلقا بالواقع الحى والتجربة المباشرة •

- الصمت ! صمت الأصدقاء والمحبين ! صمت يتردد ويتجاوب ناصعا شفافا كأفصح ما يكون الحديث وأمتع •

- لا تكون الأم أما – على حرمتها وجلالها – إلا إذا كانت صديقة •

- ليس كالأدب والفن صلة تؤكد قرابة الشعوب ووحدتها وتبرز إنسانيتها وأخوتها •

- السياسة كياسة أو لن تكون • رب حق يضيع أو يشوه • رب قوة تهدر أو تموت • رب معنى يتضاءل وينطفىء لفساد الطريقة ورداءة الاسلوب •

  الاسلوب تسلط الفكرة على المادة واستجابة المادة للصورة وازدواج العقل بالعاطفة • الاسلوب علم تجسد فنا ومعرفة استحالت سلوكا • الاسلوب – بهذا المعنى – هو كل شيء فى الحياة •

- العنف شر وشر ما فيه أنه لا بد منه • تلك مشكلة العاقل فى عصرنا وفى جميع العصور • على ان من العنف ما هو مصدر خير وحياة وحق وفضيلة •

ب• م•

رسالة لن تصل

قصة ، بقلم : الحبيب إبراهم

قيل لى ـ بتعبير الأطباء ـ إن على رئتى غشاء • فدخلت المستشفى دخول العاجز مأوى العجز • فلقيتك مفتوح الذراعين • وأنزلتنى غرفتك وقدتنى الى أحد الأسرة البيضاء فأسلمت قيادى مذهولا • وكان بجوارك مستقرى رغم نصائح قيل لى فيها إنك « تاعب » • ولقد عرفت ـ بعد ذلك ـ سر تلك النصائح وأدركت قيمة النزيل النظيف فى مكان يبيض فيه أثاث ظاهر ويسود أثاث باطن • ولما سألتك عن سبب هذا التنازع الذى وقعت فيه قلت : « اشتر الجار قبل الدار » فخيل إلى أنى أسمع هذا الحديث لأول مرة وأدركت أنى لم أكن أفقه للجوار معنى •

وهناك تعرفت عليك • علمت بضياع إحدى رئتيك وفساد كبدك • حتى أنك لم تكن تستطيع أن تضطجع • فكنت تطوى ذراعيك النحيلتين على طاولة وتسند إليهما رأسك لاويا عنقك كالطائر الذبيح وتغمض عينيك • أعرف أنك لم تكن تنام • فلم تكن أجفانك تكف عن الحركة • لم تكف أجفانك عن الحركة منذ ثمانية أشهر • فأعطيتك وسادتى الصوفية لتستعين بها على انتزاع شىء من السبات وتحاشيت أن ترانى متمددا فى فراشى كى لا تحس بأن كفة الحظ منحازة إلى •

عرفتك هازئا من المكان ، ساخرا من مرور الزمان • ثم نشأ بيننا ما ينشأ بين الواقفين فى وجه العدو الواحد • فكنت أرى فى عينيك ما تعلقه على صمودى من أمل الانتصار • وما أحسب إلا أنك كنت ترى فى عينى ما كنت أرى •

يأتى الممرض فينظر إليك ثم يهوى بكفيه على فخذيه ثم يبسطهما على ردفيه وينصرف منحنى الظهر مهزوما • أتذكر أنى كنت أدير وجهى كلما لاحظت البون الشاسع بين جسده المكعب وعنقك المعروق • كان يتضاءل وكنت ترتفع وترتفع حتى تعلو علينا جميعا • شىء فى نفسك لم يكن يبلغه الادراك أو تحدده المقاييس • شىء فى نفسك لم يمسه الصدأ رغم كل دواعى التعفن •

تزورك خطيبتك الحسناء فتجلس بجوارك على حافة السرير فتطأطئان رأسيكما على نسق واحد ثم تخرج الخطيبة صامتة كما دخلت وتبقى ٠

ولما سألتنى يوما : « ما رأيك لو طلبت منها أن تكف عن زيارتى ؟ » أجبتك : « ما عهدتك جبانا » وتحاشيت النظر إليك ٠ وصادف أن مرت « عزيزة » الممرضة أمام الغرفة فصرخت فى لهجة صافعة : « انظر الى الباب ! لقد مرت ! إن بعينيها اليوم كحلا ! » ٠

لقد كنت تعلم إذن ! ما كان أقساك ! احتفظت بسر اكتشافك وتجاهلته حتى رددت به على اتهامك بالجبن ٠

لا شك أنى كنت فى نظرك حقيرا ٠ حقيرا ٠

نعم ٠ لقد أصبت : من أجلى كان ذلك الكحل ٠ ومن أجله صدئت حتى النخاع ٠

* * *

لقد أغرتنى ٠ استغلت كبتا ألهبه الداء ٠ وأنت تعلم أن داءنا يشحذ الحس٠ فاستقطبت سورة حسى ٠ وحولت إليها توقى إلى الانطلاق حتى رأيت فيها انطلاقى ٠ لم أكن أنتظر من الحياة شيئا كثيرا حتى اذا بدت سدت أفقى الضيق الذى كان يكفى جسد ليطمسه ٠ فاذا الحياة لا شىء ٠ واذا هى كل شىء ٠

فات الأوان ٠ لكنى أحس برغبة فى أن ألم الفوضى التى تفسد على عيشى٠ لا تبريرا لما حدث بل تنظيما لنفسى المكدسة برصف كلماتها ٠

لقد عميت ٠ عميت عما سواها ٠

كلا ٠ لم أحبها ٠ كان قلبى فى ظلمة طفلية لا يبدد سوادها نور بدر التمام أو شمس الأصيل ٠ لكنها جاءت بجسدها فى وقت لم أكن فيه إلا جسدا ٠ فكنت أقضى النهار فى حلق لحيتى وتصفيف شعرى كأننى فى عرس ٠ كنت أقضى النهار فى انتظار الليل حتى اذا جن جننت ٠

كانت تسكرنى ٠ تأتى بزجاجة خمر وتزعم أنها اشترتها من أجلى ثم تسقينى حتى يعمنى العمى فأذهل ذهولا ٠ فاذا أنا لعبة فى يديها ٠ أعلم اليوم

ـ بعد فوات الأوان ـ أنها كانت مدمنة على الخمر · وأعلم أنها من الصائدات فى الغدران · أمن أجل ذلك أبت إلا أن أمعن فى الهبوط والتمرغ ؟

كانت العنكبوت تلفنى بخيوط لعابها ذبابة طيعة سائغة حتى يبدو لى لعابها سكريا · تغتنم فرص عملها الليلى فتبسط على سطح البناية حشايا وتغمرنى غمرا · فلا أعى · وأنى للغريق أن يعى وقد غمره الموج بطنا وظهرا وعمـره اليأس قلبا وعقلا ؟ ثم تسلمنى الى فراشى جثة أو كالجثة ·

قلت لى يوما : « إنها ستقتلك » فأجبتك : « حبذا الموت الممتع » وقرأت فى عينيك عتابا وشفقة ثم غلبت عليهما الشفقة فامتلأتا غفرانا · لم غفرت لى ؟ لم لم تصرخ فى وجهى ؟ لم لم تكن تعرف الصراخ ؟ لقد كنت تعرف أنك لو صفعتنى ما تأوهت · لم لم تفعل ؟ ليتك لم تغفر ! إذن لما وقع ما وقع ·

* * *

وضمتنى وإياها الحشية الآسنة · وضمخنا البـدر المنيـر كأنما أراد أن يشعرنا بظلمة ما بالنفس · وساد الهدوء كأنما شاء أن يسمعنا عواءها · لكن النفس كانت قد ركبت بعد رأسها حينما تحرك صوبها الرشد فلم يبلغها إلا وقد زاغت الأحداق · فزاد النفس تلذذا إحساسها بالمرارة حتى غدا الصوت المهدد صوتا يهدهد ·

جرفنى التيار فلم أستطع من قبضته فكاكا·ولست أتذكر إن كنت قد سعيت إلى فكاك · لن أنتحل اعتذارا بالعجز · فقد استزادت نفسى تمرغا لما أحست بعمق المزبلة ·

فى ذلك الوقت لم أذكرك · أضعتك مع كل ما أضعت من نفسى وفرطت ·

* * *

أخذوك الى مركز الجراحة قبل تلك الليلة بشهر · فأخذوا الضمير المتوقـد الذى كان يحرك أوصالى الباردة · فشحب النجم وانقطعت الآثار التى كنت أقتفيها فخبطت حيثما وجدت سهلا · كنت تسير بى على مرتفع فلما أخذوك خشيت العثار فهبطت وهبطت الى حيث لا يخشى الهبوط أو العثار ·

ولقد أعادوك منذ يوم واحد · أعادوك الى غير سريرك الاول الـذى وقـع

احتلاله من طرف نزيل جديد • ففصلت بيننا فى الغرف جدران وفى النفس درجات • ولم يكن لعودتك فى نفسى إلا خافت الصدى •

زرتك فى غرفتك فلم أقرأ فى عينيك الغائرتين شيئا يفهم ولم أسمع من شفتيك الذابلتين سوى تمتمات •

كنت فى حاجة إليك • فلما رأيتك لم أطق أن أمكث بجوارك طويلا • فقد رأيت سندى فى وضع هزيل • من أين لهذا الحطام أن يشد أزرى فى وجه التداعى وهو المتداعى ؟ من أين لهذا الفتيل أن يضىء نفسى التى صبغها الظلام ؟

كلماتك نفسها ، تلك التى كنت أستعيدها وأستعيذ بها لم تبق لى منها سوى حروف •

وتلاقت عوامل يأس لم يقف عند حده بل تعداه إلى حقد على آمال الناس ومكاسبهم وتمرد على نواميسهم وحرمان أفرغ كلمات التعقل والتخلق والصبر من معانيها •

ثم تذكرت مشهدك والكأس بينى وبين « عزيزة » غادية رائحة• فاستسقيت واستبطأت واستزدت لأبعثر نفسى وأفسد عليها حبائلها • فبعثرت وأفسدت• وكأننى أحسست بنشوة الانتصار فتملكنى ضحك عنيف عنيد هز جنبى وسكون الليل هزا • فأسرعت إلى « عزيزة» تسكتنى بلسان التعقل تارة وتخيفنى بنتائج الفضيحة طورا وتسد فمى بكلتا يديها • وكأن منطق التعقل كان يدغدغنى فلم أكن أستطيع إلا أن أضحك •

ولم يقطع قهقهاتى سوى سكوتها الفجئى لما سمعت صوت أحد المرضى يناديها ويطلب منها أن تذهب لتنظر فى حالة المريض رقم 57 وهو رقم كبقية الأرقام يتقمصه إنسان حينا من الدهر فاذا الانسان لا شىء واذا الرقم كل شىء • ولقد أفسدت على عزلتى وهذه الأفكار نشوتى فرحت أردد الرقم وألوكه مجتهدا فى أن ألبسه كيانا إنسانيا معينا • فلم أفلح • ذلك أنى ألبسته كل من أمقتهم من البشر • حتى استقر اختيارى على رئيس المكتب الذى كنت أعمل فيه والذى أرهقنى حتى زج بى فى هذا الأتون •

ولم يدر بخلدى أن ذلك الرقم البغيض يمكن أن يعنى أقرب الناس الى الانسان المثالى الذى به آمنت •

ولا أذكر من بقية ليلى شيئا •

كل ما أعلم هو أني أفقت من نومي وخماري مصفر الوجه منتفخ العينين مضعضع القوى وأني قصدت غرفتك متثاقل الخطى متهدل الكتفين · أذكر كل هذا ·

لقد اعترض الممرض « صلاح » سبيلي · واندفع يراوغني · هل تذكر ذلك الممرض اللعين الذى حكيت لك كيف عثرت على أدوية منوعة فى جيوب ثيابه المدنية وكيف أنه تلكأ ثم اعتذر بأن له صبية صغارا فى حاجة ماسة الى فيتامينات تصلب عيدانهم · كنت استشرتك فى إبلاغ أمره الى رؤسائه فقلت : « هل سئمت حياة المستشفى ؟ حذار أن تفعل ! » ثم أردفت بعد زفرة : « فكلهم « صلاح » » فأجبتك فى اهتياج : « لا بد للسحب من أن تقشعها سهام الشمس » فقلت كالمتسائل : « وهل يجدى النبتة أن تتقشع السحب بعد أن يقع اقتلاعها ؟ » فصمت ·

ولقد عادت الى كلماتك حينما اعترضنى « صلاح » وراح يشاكسنى · فأعرضت عنه فى اشمئزاز · وقبعت بجوار الجدار متهالكا · وأحسست بأنى لم أحمل قط مقتا أعمق من كرهى إياه ·

فقال وهو يكتم ضحكة ساخرة : « لو رأيت ما أحلك وجهك » ·

فقلت : « دعنى ! إنه لا شك أقل حلكة من قلبك » ·

فقال وهو يخرج من جيبه مشطا وشرع يمشط عقارب شعره : « أيؤلمك مصيره ؟ »

فأعدت : « دعنى » ·

فقال ملحا : « مالك لا تريد أن تفهم ؟ لقد هرعت إليه الممرضة فوجدت أنه شرب من زجاجة العطر فانفجرت كبده وكان النزيف القاتل · هذا كل ما فى الأمر · لست أنت الذى قتلته ! » ·

فتمتمت شاخص العينين : « أنا ؟ » ·

ولما رأى على ذهولا وتبلدا هز كتفيه وانصرف وهو يمشط شعره مرددا : « أنت وشأنك » ·

أخى ·

كنت آلة · لكنى رضيت أن أكونها · فكنت آلة شر قتلتك ·

لا تغفر · أتوسل إليك · دعنى أومن بعدالة قصرت عنها يد الانسان ·

ح · إ ·

كلمة بيانية رابعة في «غير العمودي والحر» (*)

بقلم : الطاهر الهمامي

25 ــ مع كل احترامي لأشخاص التجريبيين من أدبائنا وصداقتي لكثير منهم وتقديري لجهودهم فاني ، رفعا للالتباس ، أقول : **شعري ليس أدبا تجريبيا** • ولا إخال رفاقي إلا معي في هذا القول • فـ « غير العمودي والحر » إذن أوسع مجالا وأبعد مدى وأكثر توفيرا للديموقراطية في الخلق والاسهام والبروز يضيق بالتمدرس ويرفض المدارس ليتجاوزها •

26 ــ **ليس أخطر على الطليعة من نفسها** ، إذ يتكون في صلبها **طليعة «رجعية»** تستغل المواقف لتطمس وتجمد علنا أو سرا عمل الرفاق ولتعطل مدهم وتظهر عليهم •

27 ــ الأدب محبة واحترام وتقدير واشتراك في العمل إن شئت لكن بشرط ألا تستغل محبتي واحترامي لتمد جذورك تحتي ولتقيم دعاية وتعلن إشهارا لنفسك على حسابي •

28 ــ لست أدري متى سيصبح الاعتبار عندنا لما في الأثر الأدبي من **قيمة فنية وجمالية وإنسانية خالصة** بقطع النظر عما لصاحبه من شهائد أو عمر أو أقدمية أو منزلة اجتماعية وبدون اعتبار لموقفه إزاء الواقع • لست أدري متى سيزول **النظام القبلي في الأدب التونسي** •

39 ــ رفاقي مع الأسف يعوزهم **الوعي الجماعي** • يخشون المغامرة ، يخشون حتى الامضاء للمطالبة المشروعة ، يخشون الكفاح الأدبي العنيف ، ويرهبون كلمة « لا » ، يستلذون التبعية ويرضون بالوصاية • يخافون على امتيازاتهم ومصالحهم الشخصية •

(*) الكلمات الأولى والثانية والثالثة نشرت بأعداد « الفكر » لأشهر : نوفمبر 69 ــ جانفي 70 ــ مارس 70 •

30 ــ الاسبقيات فى حد ذاتها لا تنفع • إنما النافع وزنك فى حلبة الحلق الأدبى الصحيح ، حتى و « إن كنت الأخير زمانه » • ولم نعرف فى تاريخ الأدب والفن حركة ندت فجأة على يد فرد بعينه أفرزته الظروف فريد زمانه إنما كانت حركات جماعية **اشترك أصحابها فى الوعى بضرورة التعبير الجديد** •

32 ــ القارىء المخلص لا تهمه عبارة « غير العمودى والحر » ولا تقلقه بقدر ما يشغله **النص الشعرى** • فالعبارة فى حد ذاتها أريد بها رفع الالتباس ووضع الحد بين عهدين من الشعر العربى •

33 ــ هب أن دور النشر رفضت ، لسبب غير أدبى ، طبع مجموعتك الشعرية مثلا أو تلكأت فى ذلك • جوابك سيكون بسيطا : **تكتبها بالفحم على الجدران** ، جدران AFRICA مثلا •

ط • ه •

تونس / سبتمبر / 1970

بروميثيوس آخر

شعر : المنصف الوهايبي

على بوّابةِ الاحزانِ والصّمتِ
على كتبي... على تختي
على ضوءِ النّهارِ... على جناحيْ طائرٍ أخضرْ
على دربِ الرّفاقِ وبندقيةِ ثائرٍ أسمرْ
على ضوْءِ القناديلِ المسائيهْ
على دفترْ
كتبتُ عليهِ أشعاري
سفحت عليه أحزاني الرّماديّهْ
سأرسُمُ حبّك العاري
وفوقَ جدائلِ امرأة
تحبّ التيهَ والاحزانْ
أضعتُ الصّمتَ في أحداقِها الصّمتَا
لابدأ رحلةَ النّسيانْ
وأنفضَ عن حياتي القحطَ والموتَا
بروميثيوسُ ما عادَا
يجوبُ - صديقتي - في الاعينِ السّوداءِ آفاقا وأبعادَا
لقد صلبوهُ ذاتَ مساء
على سورِ الحروفِ... على جدارِ الصّمتْ
لانّه قد أحبّ الارضَ والإنسانْ

وأحيَى خصْبُـــهُ المعطاءُ جدْبَ المــوتْ
سـأرسُـــمُ حبَّـــهُ العـارِيِ
على أمطـــار تشـــرينٍ
تـــدقّ زجاجَ نـافـذتِـيِ
وتـزرع خصبهـا المعطاءَ فـي رئتِـيِ
ليـورقَ غصنُ زيتـــونِ
ونفتـح فـيِ جـدارِ الحُبِّ نـافـذَة
على العـــالَـــمْ
فتسريِ عبـــرهـا إشـــراقةُ الـرؤيَـــا
وينهـلَ من سناهَـــا فجـرنَـــا القـــادِمْ

١٩٥٠م

الامومة في الشريعة والادب

بقلم : محمد الهادى العامرى

لم تبالغ شريعة من الشرائع السماوية كما بالغت الشريعة الاسلامية فى الوصية بالأم التى اعتبرتها فى المقام الاول فى الاسـرة الانسـانية واوصت وحثت على برها ومراعاة حقوقها على اكمل الوجوه مقدمة اياها على الأب فى البرور والاحسان ، والآيات القرآنية والاحاديث النبوية الصحيحة برهان على ذلك لا يقبل الجدال فقد روى محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه الحديث التالى فى باب البر والصلة وقول الله سبحانه وتعالى : « ووصينـا الانسـان بوالديه حسنا » ، قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول اله من احق الناس بحسن صحابتى ، قال : أمك ، قال : من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ ، قال : أمك ، قال : ثم من ؟ ، قال : أبوك ٠ الا ترون انه وقع تكـرار الأم ثلاثا وذكر الأب فى الرابعة ، وانما اعتبر الشارع للأم ثلاثة امثال ما للأب لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع وهذه تنفرد بها الأم وتتجسم لها المشاق وتتحمل فيها اعظم العناء والشقاء ، ثم عـلاوة عن ذلـك تشارك الأب فى تربية الطفل واعداده وقد اشار القرآن الكريم الى هذا بابلغ اشارة وقال تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنـا على وهـن وفصاله فى عامين » الآية ٠ فسوى بين الوالدين فى الوصاية وخص الأم بالامور الثلاثة ، وهذا قليل من كثير فى اكبار منزلة الامومة واعلاء شانها والتنـويه بمكانتها واحترام جانبها والامعان فى تكريمها والتفانى الذى لا يعرف حدا فى حبها والاخلاص الصادق فى السر والعلانية لشخصيتها ، كيفما كانت اخلاقها او نحلتها وعقيدتها ٠

فالامومة المنهل العذب الفياض دواما واستمرارا بالخيرات المتدفق بسيول الانعاش الذى يغذى الوجود ويخفف وطأة شروره ويلطف شدائده ويـزرع الامل فى النفوس اليائسة التى تجددها العناية الخارقة ويحييها العطف وينعشها الحنان ، ولولا الامومة الرحيمة ما عرف الوجود الايثار ولا تذوق معنى الرحمة ، فالأم هى الزهرة التى لايذبل حنانها وانذبلتالازهار ولاينقطعمددهاوانتعطلت الاودية وجفت الانهار فلا غرو ان كانت الامومة من اروع واجمل ازهار رياض

الوجود فى حقل الحياة القاسية تنفحنا بطيب ريا نسيمها وتبسم لنا من وراء القطوب وقد ترسل الينا من آفاق رحمتها ودائرة قداستها وطهارتها وشفقتها أشعة روحانية خارقة تقودنا بها الى شاطىء السلامة بعد الارتطام وتنقذنا من النكبة بعد ان نشرف على الانهيار وتؤز مشاعرنا ازا وتؤثر فى نفوسنا تأثيرا يعجز كل مرب مهما علت معذرته على الوصول الى ادنى شىء منه ٠

ومن الطرائف الفاتنة فى هذا الباب ما رواه لنا تاريخ الاداب فى اللطيفة التالية العميقة الاثر فى التوجيه الحكيم وكبح جماح الشهوة الجامحة المنبثقة عن اخلاص أم مثالية ما حكاه القاضى الاكرم على بن يوسف القفطى احد كبار ادباء القرن السادس الهجرى ، قال : كنت وانا شاب جموح طموح أصعد على سطح فى منزلنا فصادف ان صعدت لقضاء شأن من شؤونى فرأيت وراء جدار جارنا جمالا رائعا لا عهد لى بمثله فنزلت مسرعا فقالت لى الوالدة: ما بالك نزلت بدون القيام بالواجب ، قال : فاعتذرت بعذر واه ، فقالت : ما اظن الامر على ذلك ، ولكن هل أومى اليك بالاصابع حتى تركت القيام بالامر المطلوب ، فقلت : من يومىء الى ؟ لا اعرف معنى كلامك هذا ؟ فقالت : يا بنى اسمع منى ما أقول لك:

اثنتـان لا ارضى انتهـاكهمـا	عـرس الخليـل وجـارة الجنب
امـا الخليـل فلسـت خـائنه	والجـار أوصـى بـه ربـى

قال : فوالله لكان ماء وقع على نار فاطفاها فما صعدت بعد ذلك الى السطح ولا ارتقيت الى غرفة الى ان فارقت البلاد ، ولقد جاء الصيف فاحتملت حـره ولم اصعد الى سطح فى تلك الصيفية اه وفى هذا بلاغ لمن يتأمل مليا ٠

ناهيك من ان الفلاسفة والحكماء الذين كانوا ينفرون من الوجود ويدعون الى نبذ كل وسيلة تعين على التناسل فيه كانوا يعطفون اشد العطف على الامومة وفى طليعتهم أبو العلاء المعرى فبالرغم عن افـراطه فى التشـاؤم واسـرافه وقساوته على الأباء والأمهات فلم تكد تغادر أمه هذا العالم الفانى حتى جـن جنونه وخانه تجلده ونفد صبره فاجهش بالبكاء والعويل وملأ الدنيا رثاء لأمه فى قصائد شعرية بث فيها بنار جواه ونفث فيها مرارة ألمه وتمنى لو تقـدم الى ذلك العالم قبلها فقال :

دعا الله أمـا ليت انى أمامهـا	دعيت ولو ان الهواجر اصـال
مضت وكأنى مرضع وقد ارتقت	بى السن حتى شكل فؤادى اشكال

وهو القائل :

وامتنــــى الـى الاحــداث أم ... يعـز عـلى ان سـارت أمـامى
ومن لى ان اصوغ الشهب شعرا ... فالبس قبـرها سمطـى نظـام
مضت وقد اكتهلت فخلت انى ... رضيـع ما بلغت قوى الفطـام
فبـاركت المنـون اما رسـول ... يبلـغ روحهـا ارج السـلام

الى آخر القصيد الذى أطال النفس فيه .

وهكذا بكى المعرى أمه وبرهن فى مراثيه العديدة عن عاطفة عفت على جميع نظرياته الفلسفية وغمرتها حتى تلاشت امام الحقائق المرة المؤلمة وليس المعرى الحكيم الاديب اول من افرط وتغالى فى حب الامومة فقبله وبعده من ادباء العربية ألوف من الرجال تتعذر الاحاطة بادبهم فى هذه النـاحية ، ومـا زلت اذكـر للشريف الرضى قصدا به ما يقارب المائة بيت فى هـذا الصـدد ، بكى فيه الشريف أمه وأمعن فى رثائها وخانه تجلده عند فراقها استهله بقوله :

ابكيك لو نقع الغليـل بكـائى ... وأقول لو ذهبت المقال بـدائى
واعوذ بالصبر الجميـل تعزيـا ... لو كان بالصبر الجميل عـزائى
طورا تكـاثرنى الدموع وتـارة ... آوى الى اكـرومتـى وحيـائـى
كـم عبـرة موهتهـا بأنـامـلى ... وسترتهـا متجمـلا بـردائـى
ابدى التجلـد للعـدو ولو درى ... بتـألمى لقـد اشتفـى اعـدائى

ومنهـا :

فارقت فيك تمـاسكى وتحملى ... ونسيت فيك تعـززى وابـائى
وصنعت ما ثلم الوقار صنيعـه ... مما عرانى من جـوى البرحـاء
كم زفرة ضعفت فصارت انـة ... اتممتهـا بتنفـس الصعـداء
لهفان انزو فى حبـائل كـربة ... ملكـت على جـلادتى وغنـائى
وجرى الزمان على عوائد كيـده ... فى قلب امـالى وعكس رجـائى
قد كنت آمل ان اكون لك الفدى ... ممـا ألـم فكنت انـت فـدائى

أما أبو فراس الحمدانى الشاعر المجيد فكتب لأمه يقول : انه لا يرهب الموت ولا يقيم وزنا للحياة ولكنه يبقى على نفسه فى ميدان الوغى وفى ربقة الاسر

متحملا كل غضاضة ارضاء لعاطفة الامومة التى تسوقه قسرا الى البقاء ما استطاع الى ذلك سبيلا ، واليكم مقطوعة فى هذا الصدد قال أبو فراس :

لـــولا العجـــوز بمنبـــج ... مـا خفـت اسبـــاب المنيـــة
ولكان لى عمـا سـالت من الفـ ... ـــدا نفـــس أبيـــــه
لـكـــن اردت مـــــرادهـــــا ... ولـو انجـذبت الى الـدنيـه
وارى محـامـــاتـــى عليـــ ... ـهـا ان تضـام مـن الحميـة
ليســـت بمنيـــح حـــــرة ... بالحـزن مـن بعـدى حـريـة
لـو كـان يـدفـــع حــادث ... او طـارق بجميـــل نيـــة
لكـــن قضـــاء اليــه والاحكــ ... ـــام تنفـــذ فـى البـــرية
والصبـــر يـــأتـــى كـل ذى ... رزء عـلى قــدر الــرزيـــة
لا زال يـطـــرق منبجـــا ... فــى كـل غــاديـــة تحيـــة
فيهـــا التقـى والــديـن مجمـ ... ـــوعـــان فـى نفـس زكيـــة
يـــا أمتـــا لا تيـــأسـى ... للــــه الـطــــاف خفيـــة

هذا والادب العربى كالشرع الاسلامى كلاهما زاخر بتمجيد الأمومة وحافل بذلك وكلنا أمل ان ينتبه كل احد لما يجب عليه تجاه الأم من واجبات ، فيبادر الى القيام بها لا سيما الاحداث الذين لم تثقفهم الايام ولم تحنكهم التجربة فهم فى أشد الحاجة الى التذكير والتوجيه ليخلصوا لامهاتهم ومن المؤلم ان شبابنا معظمه قد كفر بسائر النعم واتخذ المادية هدفا ولم يرفع الى الروحانيات رأسا.

م. هـ. ع.

غرام في العالم الثالث

قصة ، بقلم : حسين الواد

هذه المحاولة أخذت عن المسرحية حوارها ، وعن القصة سردها . فلتكن بلا اسم كأخبار قدماء العرب.

شخصان ، على طاولة متقابلان . فتاة في العشرين ، وشاب تخطاها بقليل ، علبة مذياعية الشكل صغيرة ، كتب وأوراق وأقلام مهملة ؛

الشاب يشعل سكارة ، يطرق ،... ينظر في وجه الفتاة المطرقة طويلا .. يفتح فمه ، يهم بالكلام ، ويطرق من جديد .. يأخذ قلما ويداعبه كمن في موقف رسمي حرج .

الشاب : أنت .. من غير شك .. لا أنا طبعا .. أعرف : لا نفع
للكلام ولا جدوى ... ما دام الوجه لك .. ما دمت له
ربة .. وما دمت أنا ..
ما دام الصيف قد انقضى ، صيف الشوق والحنين والنار ،
منفى الرهبة والخوف .
العار !. لا لم يعرفه أحد قط . ولا أنا ...

تهم الفتاة بالكلام ولكنها تسكت ، تحاول القيام ولكنها تجمد ، تظل برهة كالمشدوهة ، ثم تضع راحتها على يد الشاب تحببا ولطفا .

الشاب : (يواجهها بنظرة غضبى ويجذب يده) اليك عني .

الفتاة : (هامسة في اطراق) ولكنني أحبك .

الشاب : وأنا أيضا .. هل نسيت .. البلفدير ، البركة في البلفدير ،
ورمضان ، والناس صيام الآن نحن ، يوم جلسنا ، مع
الغروب .. كنت غاضبة .. ألا تذكرين ؟.. وكنت
لا أصبر .. لا عليك ولا على الدخان ..
والحارس كلب أمين ، بعين الحسد يرمقنا ، والمارة ،

نلوي أعناقهم .. والدموع في عينيك الساحرتين، والخوف في أعماقي أعماقي أنا، أنا القائل يوما: «الخوف في الرجل...» ما علينا، والنسيم المسائي يعزف ألحانه البائسة، ويدي الى خصرك تدنيك مني، والوحدة والالم.

أنسيت؟ شعرك الطويل يداعب وجهي كلما .. آ.. أنت نسيت .. كيف؟! أما كنت، أما كنا؟. ولا شيء غيرنا .. حتى المياه تدعونا الى البكاء فلا نحزن، لا ولا نضحك. حتى الغروب .. يالهما غروبان في غروب واحد: غروب التعارف واللقيا، وغروب الجهد والخلـــق.

أنسيت الحارس ينصرف وقد مل، والشرطي يقاوم الاخلاق، يدعوني، يأخذ أوراقي، يسألك من أنا فتقوليـن وعلى شفتيك احتضار ابتسامة باهتة «هو أنا .. نحن» والظلام!. تذكري الظلام وقد حجبنا عن الاعين السارقة، والفوانيس المنتحبة والمطر .. والشفاه!. أنسيت طعم الشفاه عطشى، رائحة طعم الشفاه عطشى تنتحر عليهما النظرات قبلا خرساء.

الفتـــاة : (مغتاظة) يكفي ! لا أفهم. أنت قلت شيئا؟

الشـاب : (كمن يعتذر) لا .. أبدا .. أنا ما قلت. أنا كنت ورأيت. أنا سمعت .. هل تسمعين؟!

(يعالج العلبة المذياعية فينبعث منها صوتُ الماضي وقد سجل للشخصين مواقف لسنة خلت).

∴

صوت الفتـــاة : ما لك يا عزيزي؟

صوت الشـاب : لا شيء.. ان هو الآ الشوق أضناني.

صوت الفتـــاة : الشوق أضناك؟ كيف؟!

صوت الشـاب : أشعر كأنما الضلال يعاودني.

صوت الفتــاة : أي ضلال ؟! .. (وقف).. تكلم .. ألا تـدين بالتعارف ؟!
صوت الشـاب : التيـه .. التيـه ياعـزيـزتـي التيـه .. صحـارى القلـق ، سبـرِيـّات الـرتـابـة والملـل ، وما تقـدّمنـا خطوة واحدة.
صوت الفتــاة : المعميـات ، دائمـا المعميـات .. هات ما يفهـم .. قل .. تكلـم ؟
صوت الشـاب : أخشـى اذا تـكلمـت يـومـا ان تنطبـق السمـاء على الارض ، وان يختـل النظـام فتفسـد الـدورة ..
صوت الفتــاة : كلامك لا يفهـم يـا هـذا .
صوت الشـاب : حبـذا الهـذا من فمك الجميـل .
صوت الفتــاة : أحقـا هو جميـل ؟
صوت الشـاب : حبـذا لـو أخطـيء .
صوت الفتــاة : أو تحب الخطأ .
صوت الشـاب : بل أرجـوه .. ليتنـي كنت كأيهـا النـاس ، أقنـع بمـا يقنعـون ، وأطمـح الى مـا يطمحـون .. أعيـش معهم وكـأني منهـم ، لا الابعـاد تشغلنـي ، ولا الإرادة تثقـل كـاهلـي .
صوت الفتــاة : ومـاذا تـريـد ؟! ألا أخبَـرْتَنـي .
صوت الشـاب : (وقد أصبـح ساحـرا) . هو حلـم طالمـا راود تصوّرات الفـلاسفـة يـا عـزيـزتـي .. أن أجعـل من شخصيـن اختلفـت ثقـافتهمـا وتبـاينـت أفكـارهمـا ، وتنافرت طبـائعهمـا ، وتضاربت أجنـاسهمـا ، شخصـا واحـدا ثقـافـة وافكـارا وطبيعة ..
وحـدانيـة المثنـى هـدفـي ، نفـي المستحيـل رجائي ، وطمـس العـدم لانـاس تعـوّدوا التحليـق في سمـوات الخيـال منـاي ..
صوت الفتــاة : (محـاربـة) .. بـديـع .. ولكـن كيف ؟
صوت الشـاب : لا تقـولـي كيف ، دعـنا من الكيفيـات فعهـد النظـر انتهـى وبـاد ، بـل قـولـي بـم ، بـأيـة وسيلـة ؟

صوت الفتـــاة : (مجارية). نعـم بـم، بـأيـة وسيلـة.

صوت الشـاب : بـأن نتـلازم الى حـدّ الإتحـاد، بـأن تكـوني حيث أنـا وبـأن أكـون حيـث أنت، بأن نـرى كـل شيء معـا، ونحـسّ كـل شيء معـا، فتجـارب الحيـاة شمـوس تمحـو مختلف الالـوان لتصنـع البيـاض.

صوت الفتـــاة : وهل فعلت عكـس هـذا؟!

صوت الشـاب : لا.. وانمـا أدخلت فـي حيـاتك رجلا جعـل القرابة لك طـريقـا.

صوت الفتـــاة : قلـت لك لا علاقـة لي بـه؟!

صوت الشـاب : ليكـن.. ونفيك لمـا فـي مـاضيك جعلك أنت: كتلـة من الاحـاسيـس تتضارب، يمـزق بعضهـا بعضا وينهـش، تتـألميـن وتؤلميـن كالنفس تبحـث عن مخـرج داخل وعاء من نـار مخنـوق.

صوت الفتـــاة : تقصـد ذلك الـرجـل.

صوت الشـاب : ليكـن رجـلا واحـدا أو رجالا عـدّة.. لا أبـالي.. فـالذي يهمني هو أن أعـرف. أنـا قبلتك كمـا أنت تمـامـاً.. أريـد أن أعـرف الشمـوس التي جعلتك أنـت حتـى.

صوت الفتـــاة : حتـى مـاذا؟

صوت الشـاب : حتى أقابلهـا بأضدادهـا ويكـون لنـا الغـد.

صوت الفتـــاة : لا أفهـم.

صوت الشـاب : (منفجـرا). أعنـي اننـا لم نعـد في حاجـة الى انسـان كـأيهـا النـاس، انظـري خلفـك.. أما ارتعت؟.. هـذه الـوجـوه الممسـوخـة لكـائـن لم يـوجـد بعـد هـذه القـرون تمضي وملايين الحشـرات.. أما ارتعت؟ أمـا تعبـت مثلي من هـؤلاء العبـاد، هـذه المخلـوقات

سكرى يأكل بعضها بعضا ، يبكي بعضها بعضا ،
والقوانين والاديان ، والحواجز والخرافات والاقاصيص
ألا يبعث فيك كل هذا النقمة والسخط . أما اغتظت ؟!

صوت الفتاة : وماذا تريد ؟

صوت الشاب : أريد القمر ، لا بل الشمس ، لا بل الله .. لا بل ذاتي ..

صوت الفتاة : (ضاحكة) جنونك يناديك .

صوت الشاب : دعيني أفعل .. دعيني أفعل .. ولأكن .

(يعالج الشاب العلبة المذياعية فتصمت) .

الفتاة : كنّا .. كنّا سعيدين .

الشاب : (يقف .. يبتعد عن الطاولة .. يطرق مليا ..) لا أتصوّر البشرية في مثل حمقك حتى ترضى بالسعادة هدفا لعظمة الوجود .

الفتاة : (حانقة) حمقي ؟!

الشاب : ما علينا .. تلك هي بدايتي .
بيد أني سأسمعك حوارا بيني وبين ذلك الرجل .

الفتاة : (مرتاعة) لا .. لا أريد .

الشاب : بل تريدين .

(يعالج الشاب العلبة المذياعية ، بينما تضع الفتاة يديها على وجهها تقززا ورعبا .)

صوت الرجل : وجهك مضطرب .

صوت الشاب : كمن دخلت في حياته امرأة .

صوت الرجل : ماذا ؟ هي فعلت بك هذا ؟ لا أكاد أصدق وانت خالقها .

صوت الشاب : كل الآلهة انتحرت ..

صوت الرجل : انها تحبك .. أراهن على ذلك .

صوت الشاب : كما أحبتك أنت .. دعنا من الحب ومن الرهان ، فما كان للحب هذا الوجه .

صوت الرجل : وماذا تريد منها ؟

(الفتاة تعصرها الذكرى فتنفجر باكية .. الشاب في وقفة صنمية) .

صوت الشاب : الإخلاص والتعارف .

صوت الرجل : المرأة اذا أحبت أخلصت .

صوت الشاب : هراء .

صوت الرجل : صدّقني .

صوت الشاب : كيف أصدّقك والكارثة على الابواب .

صوت الرجل : تصدّ لها .

صوت الشاب : اني فاعل .. ولن أتراجع .

صوت الرجل : تفعل ماذا ؟

صوت الشاب : (بكلّ تحدّ) أمحو ذكراك من فؤادها محوا ، أنتزع عطفها على قريبها من حنانها انتزاعا .. أفهمت . لا .. لن أهن وليكن الدمار .

صوت الرجل : ما أراك الا فاقئا عينك باصبعك .

صوت الشاب : قبل أن تفقأها أقداركم وآلهتكم ومكتوبكم .

صوت الرجل : هذا والاّ فلا .

صوت الشاب : يجب أن تبدأ الخليقة من حيث أنا الآن .. أما ما مضى فمجرّد تحفز وانتفاض .

صوت الرجل : على قدر التحفز يكون الوثوب .

صوت الشاب : في عالم المساحة والمقاييس .

صوت الرجل : وعالمك .

صوت الشاب : المطلق واللاّ نسبية واللاّ معقول .

(يعالج الشاب العلبة فتخرس ثم يلتفت الى الجدار، ويتأمل لوحة زيتية تمثل جبالا سوداء تحجب وجه الافق، ورجلا في السفح يصعّد بعينيه في القمم..)

الشاب: ثم.. رأيتك في الحلم.. لا بل في الواقع.. كان شيئا كالحلم.. أو كان واقعا وأنا الحلم..
رأيتك في بلد غير بلدنا. كنت وحدك. ثوبك الاخضر اشترينا قماشه معا، وشعرك الطويل لمعته «جفافة» اقتنيناها معا. وعيناك. كأنما أتلفت سحرهما مخالب النسور، وشفتاك أضرّ بهما الجفاف.. وكلمتك فاذا بك لا تسمعين.
وذكرتك الا تفاق والعهد فاذا بك لا تفقهين.
كنت، والصيف ما انقضى بعد، كمن تنكر للوعد وجفّا.

(يلتفت اليها.. يحدّق فيها طويلا.. يهمّ بالكلام، يتردّد.. ثم يقول)
أذكر أني فارقتك وعلى محياك من القلق جراح.. كان ذلك قبل المحنة بأسابيع، محنة الحلم أو.. لعلها محنة الواقع..
تذكري صبيحة يوم، والشمس كالمرآة في الافق الشفاف، والحشرات تثاؤبات أرض ملت الإنسان، والركض يجلد وجنتيك بسياط من لهيب، وأنفاسك يقطّعها الانبهار تقطيعا.. هل نسيت؟

(يهمّ بمعالجة العلبة، لكن الفتاة ترتمي عليه صائحة)

الفتاة: دعني بربك دعني.. لا تذكرني.. (في حشرجة) ماذا أقول.. أنا لي رجل.. انتهى ما... فماذا تريد.

(انتهى ما يشبه المرحلة الاولى.. بداية صراع تمثله الاصوات الى حدّ الآن، وبداية نهاية انهيار يُمثلها شبه الحوار العادى)

ح٠و٠

السور القديم

شعر : نور الدين العكارى

وحـدى احتـرقت
عـلى هشيـم الأحـرف النكـراء
لا دمـع فى عينـى ولا دمـاء
لا شىء يجتـر تـواريخى
حتى بقايـا الذكريـات
ـ كالمـارد الجبـار فى عين السمـاء ـ
مـاتت كمـا يفنـى المسـاء ٠

* * *

وحـدى بقيت
فى مخـدعى المهجـور
أستنسـخ القـرآن والانجيـل
وأعبـر الجـدار ٠

* * *

تيمـور مـر مـن هنـا
مـن بـاب بغـداد الـذى لا يفتـح
كنت فى قـاع السقيفـه
أستوضـح المـذاهب الحنيفـه :
« مـلائـك اللـه أنثـى أم ذكـر ؟ »
لم أر تيمـور يـأتى منتصـر ٠

* * *

فى ربعـى الخـالى
يـا طالمـا غنيت أجـزالى
يـا طالمـا حطمت أجيـالى
ثـم احتـرقت
على هشيـم جسمـى البـالى ٠

* * *

ألقيت لليـل الطويـل مقـودى
شيـدت فـوق الـوهم صـرح معبـدى
ضيعت مـن كفـى تـلابيب الـزمن
ثـم احتـرقت
أنـا وأشـلاء الكفـن ٠

ن٠ ع٠

الاعـــــدام

قصة بقلم : يوسـف الحناشي

وخلصتك يا حبيبتي في بضع ثوان ٠
وخلصت عمري في قارورة ٠
وكبرت في عيني الجريمة والصورة ٠٠٠
ط٠ الهمامي و م٠ح٠ الزناد

لانني حزين سوف أعبد حزني ٠٠٠

الرصيف ٠ الناس ٠ الشارع ٠ عجوز وفتاة ٠ شاب وعجوز ٠ عمارات أشجار شاحبة ٠ أصوات ٠ ساعة كبيرة معطلة ٠ بائع جرائد وكلبه ٠ مقهى مهجورة ٠ فتاة واقفة وحدها ٠ السيارات ٠ الشارع الطويل ٠ رجل ٠ رجل آخر ورجل آخر وفتاة وشاب وكلب وعجوز وسيارة واقفة فارغة وصوت ٠ أصوات ٠ الناس ٠ الرصيف ٠ عجوز وفتاة ٠ أشجار جامدة ٠ ساعة معطلة ٠ الرصيف والناس والشارع والاشجار والمقهى والسيارات والاصوات والرجل واقف واقف واقف ٠٠٠ سيجارته تحتضر ، رجلاه رافضتان ، عيناه حائرتان رأسه علامة استفهام ٠ يداه مزقت الجريدة والجريدة تتمزق تتلوى ٠ الرجل واقف والشارع طويل والساعة معطلة منذ أيام والرصيف مزدحم والرجل واقف واقف وسيجارة تحتضر ٠٠٠

لانني حزين سوف أغني حزني

لم يتحرك الرصيف ٠ لم يبعد العجوز ٠ لم تكف الفتاة عن مداعبة العجوز لم تضمحل العمارات ٠ لم تخضر الاشجار ٠ لم تقف السيارات ٠ لم يخل الشارع ٠ لم تتحرك عقارب الساعة ٠ لم يكف الضجيج ٠ لم يمت بائع الجرائد ٠ لم تعمر المقهى ٠ لم يكف الرأس عن الاستفهام ٠ لم يعد الشباب الى السيجارة ٠ لم تنته اليدان من تمزيق الجريدة ٠ لم تتمزق الجريدة بعد ، والرجل واقف ، يداه تمزقان الجريدة ، عيناه تلعنان الساعة ٠ رأسه حيرة ٠ سيجارته تفنى والرصيف مزدحم والرجلان رافضتان ٠ رافضتان الاصوات لا تزال تصرخ وتصرخ والسيارات تتقدم ٠٠ والرجل واقف واقف واقف ٠ واقف ٠

لانني حزين سوف أصنع تمثالا من حزني ٠

منذ شهر توقف الرجل هنا ٠ نظر الى ما حوله ٠ التقت عيناه بعينيهـا ٠ أبتسم ٠ أبتسمت ٠ قص حكاية أمسه ٠ قالت انهـا حـزينة وتعبـد الحـزن وأنها تبحث عن شيء ضائع لها منذ أعوام وأن الناس لا يفهمون قضيتهـا وانها تركت حديقة ابيها المزهرة وجاءت الى هنا لتلتقى عيناها بعينيه ويسألها عن الساعة وتجيبه بان الزمن لم يعد له قيمة منذ أن رأته وان ساعتها لـم تعد تعنى شيئا وأن هذا الضجيج يقلقها والعيون تمزقها والاشياء تضيق من عالمها وأن ربطة عنقه جميلة جميلة كشاطىء مهجور يتمشى فوقه حبيبان لم يلتقيا منذ عشرة أعوام ٠ وحدثها عن جوعه وعن شقائه فى البحث عنها وعـن أحزان العالم وعن أمه التى تركته لتفر مع رجل وعن أخته التى تتعاطى البغاء وتزوره فى الشهر مرة وتنام مع أصدقائه وحدثها عن مجموعة طوابعه البريدية التى أحرقها منذ شهرين حين أحس بأنها تافهة وعن مشروعه فى الانتحار ٠ وبكت وضمها اليه ومشيا طويلا فى الشارع الطويل حيث السيارات وحيـث العجوز والفتاة وبائع الجرائد والاصوات والساعة المعطلة والناس لا ينقطعون عن السرور ومشيا ٠٠ ومشيا ٠٠ وافترقا عند الصباح ٠٠٠ وعاد الى الرصيف بعد انقضاء يوم ٠٠٠

لاننى حزين سوف يكون الحزن كلمتى الاولى والاخيرة ٠ الرجل واقـف والشارع يضيق ٠ يقصر ٠ الاشجار تتمايل ٠ الاصوات ترتفع ٠ النـاس يقهقهون ٠ المقهى مغلقة ٠ عقارب الساعة فقدت ٠ العجوز يدفعه طفل فى عربة والفتاة تنظر اليه من بعيد وتضحك ٠ الكلبان يرقصان ٠ بائع الجرائد نسى جرائده ويغازل فتاة تمضغ سيجارة ٠ السيارات ٠ السيارات ٠ السيارات الرجل عيناه جاحظتان ٠ يداه مزقتا الجريدة وتمزقان المعطف ٠ رأسه يدور ٠ يدور ٠ سيجارته رماد على الارض ٠ الرصيف مزدحم ، مكتظ ٠ أخته يحملها رجل الى بيته وأمه تنظر من نافذة بعيدة الى آبنها الذى كبر ولم يعد فى حاجة اليها ٠ الرجل ينظر الى الشارع ورأسه يدور ٠ يدور ٠ وذكرى لقاء وكلمات وماض لم يعد يعنى شيئا ٠٠٠

وتحرك الرجل وغاب الرصيف وضاق الشارع وصرخ بائع الجرائد وسقطت الساعة وتوقفت السيارات وسقط الرجل على الارض وسال دمه على رمـاد السيجارة وفتات الجريدة ولم تأت الاخت واغلقت الام النافذة من بعيد وسقط الرجل والساعة معطلة ٠٠ معطلة ٠٠ معطلة ٠٠٠

لانه حزين أعدمه حزنه ٠
أيها الحزن ضمنى اليك ! !

تونس 28 ـ 12 ـ 69

ى٠ ح٠

مسرحية العدد :

الف لام ميم

مسرحية في خمس لوحات

بقلم : احمد القديدي

« ان الذى يقتل رجلا واحدا نسميه قاتلا
والذى يقتل الملايين نسميه فاتحا
والذى يقتلهم كلهم نسميه الآها »
جون روستون

« اللغة هى سلاح يدافع به الانسان
عن كيانه .. نحن ننطق لنحيا »
المؤلف

الاشخاص

المسافر .... انسان
الصبية .... وجه نقي الملامح
قمر .... امرأة شابة
الحاكم .... رجل يمثل القانون
الشيخ .... رجل شيخ
المهرج .... رجل ذو وجه أكلته الاصباغ
عباس .... رجل البحث العلمي
أناس مقنعون .... رجال وجوههم مطموسة

اللوحة الاولى

ديكور : قاعة مضاءة فيها عرش تجلس عليه صبيّة ذات ملامح نقيّة عذراء يجلس على كراسي أناس ذوو وجوه مقنعة مطموسة المعالم يقف المسافر بمعطفه في شبه صلاة . نريد اشعار المتفرج بأن هذه القاعة تقع بين الخيال والواقع)

المسافر : وجهك أيتها الاميرة ماء زلال انبثق من قرار الارض ... طفولة دائمة لا يشوبها الزمن لا يعتريها القحط والنسيان ... أنا الان أمامك طاهر الروح ... غسلت أدران السفر القديم ... وجهك فجر ينبلج من وراء الدهر حالما ... مقدسا خاشعا بضّا كالينبوع لا يعرف الجمود ولا الصقيع ..

الصبيّة : هو عالم الخرافة أيّها الرجل ... محض خيال ... انّنا ننتصب هنا منذ ميلاد الانسان ... نحدّق من بعيد في غربته وتشرّده وضياعه ... نراه يقوم بنفس الحركات الاليّة كلّ صباح . أنت مثلا ... قبل أن نستقبلك في هذه المدينة ... كنت صفرا من الاصفار القائمة في ملّق قديم ...

المسافر : نفس الحركات ... كلّ صباح ... أرى تجويف وجهي وفراغ عينيّ في المرآة ... كلّ صباح أرى التاكل الرهيب يتسلّق ملامحي في اصرار وعناد ... كل صباح ... البس قناعي ... أحلق ذقني أرسم ابتسامة بلهاء على شفتي ... أرسم شبح ابتسامة ... أشرب قهوتي ... وأطالع الجرائد اليومية ... نفس الاحداث ... الاسماء فقط تتغير ... كلّ صباح أهتك صقيع الشّارع الميت بأقدامي ... صوت أقدامي كان دائما الاحتجاج الوحيد على صمت المدينة ... كان نبضا ملهوفا لقلبها الموهن المريض هكذا أطرق جمود الشّارع كل صباح ... وأحدق في الاشياء من حولي ... نفس الاشياء ... أغضب أحيانا ... أصرخ

من أعماقي : يتوقف الزمن وتتكسر عقارب الساعات ... لاشي سوى الارقام ... واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستّة سبعة ثمانية تسعة عشرة ثمّ من جديد واحد اثنان ... تكرار لكلّ الحركات : أعيد صراخي من جديد : أقول : أعد لي وجهي القديم أيها العالم ... امنحني عطاءك أيها البحر ... امنحيني رفضك أيتها الارض ... ثمّ أهوى على الرصيف ... لاحركة ... لاحركة ... عيناي تتعلقان بالاشباح والاشكال المارة في سرعة ... ومن بينها تمتّد لي يد بالاقراص ... ... أتناولها مع جرعة ماء ... نفس الطعم ... والعالم حولي يدور رأسي يدور ... والحرب تدور ... الكلمات تدور أمامي لا تستقر على صفحات الجرائد ... نفس الكلمات :أقول في نفسي : هل تكفّر المدينة عن ذنوبها ... أيّة تعادلية حمقاء تقضي بشيخوخة الكون من حولي ... الهرم أصاب العالم في كيانه ... كالسرطان ... الاشياء والاشباح تسعى للاندثار ... ويبقى الخير والجمال من شان الخيال المريض ... ثمّ فجأة أفقت من نومي البليد ، أردت أن أهرب من شيخوخة الحياة ... وسافرت ... أكلتني المحطات منذ الزمن البعيد ... وها أنا أمامك أيتها الصبيّة العذراء ... يا طفولة العالم ... أنت هنا صبا خالد يقهر الزمن ويتحداه ... جئت اليك ... من وباء المدينة العاقر ... جئت أبحث ...فيك عن التجدّد والطهارة ... جئت أنبش التراب بحثا عن جذوري ... بأظافري الداميّة ... أنا شجرة ملعونة اجتثتها العاصفة الهوجاء ... حرمت حتى من الموت واقفا كما تموت الاشجار عادة ... ما أروع الصباح يشرق من خلال تحديقك في العالم ... لم أكن أتصوّر أن أقف أمامك بعد أن صلبتني الأيّام وعرتني كلّ ثانيّة عشتها ... كنت يا حبيبتي ظلاً من ظلال السماء يغمرني في ساعات فراري ... خدرا يسري في أوصالي ينتشلني من ألم الغربة والانهيار .

... كنت واحة صمت عبر صحراء الكلمات الجوفاء ... واحة صمت ظليلـــة ....

الصبيّــة : صلاتك نقيّة التعبير والافصاح ... لكأنّ هذه القاعة فتحت لك بابها في نهاية رواق مظلم ... ظللت تمشي فيه سنين طويلة عجفاء ، تتسرب الى رئـتيك رطوبـته ، ويرهق عينيك ليله الابدي الممتدّ ...

المسافــر : هو ذاك أيتها القديسة ... رواق أعمى أصمّ ... الاّ صراخي في المجهول أقول : هل من خلاص . يصاب جسدي بما يصارع التلاشي ... أقول : كيف أنتصر على النسيان ... كيف أقوى على التعبير والقول .. كنت في ذلك الرواق لا أقدر على الكلام الواضح الصادر عن منطق ...

الصبيّــة : حدثني عن هذيانــك ...

المسافــر : أضغاث كلام ... أشلاء حروف أطلال لغة ... كنت أقول في سأم الرواق :
(موسيـــقى)
أنا ولدت في قرطاج أمام البحر ... كانت قرطاج مدينتي يدا تمتد للعالم في كبرياء ... وفجأة لاشي لاشيء ... اندثرت قلاعي وبقيت أنقاضا تشبه صمت البحر وموت البحر ... وفي صمت قرطاج ... بعد أن خرست المسارح وتهدمت فيها روعة الحوار ، قامت حضارة اللّفظ ... وآشتقت أنا الى رحلة أطول من القرون ... وأبحرت بلا تاريخ ... لاتعلّم كيف أقف صامتا لاحدق في الغاز الكون وأشيّد جسرا أعبره للحياة ...

الصبيــة : ... غريب أمرك أيّها الرجل ... كيف تهرب من الكلمات ؟

المسافــر : انها أصبحت أشباحا مشوهة الوجوه ، تطاردني ، تكاد تنهشني أظافرها ... ولكنّها وقفت أمام الباب عاجزة مخذولة ، ودخلت وحدي منتصرا فاستقبلني الصمت ...

الصبيـــة : الصمت هو الحقيقة

المسافــر : مثلما اللغط هو الزيف أيتها الاميرة ... ها أنذا أنعم بالفجر المتفجر من أعماق الليل ... ها أنذا أشرب الينبوع المنبثق من الارض البوار .

الصبيّـــة : راحة عميقة مطمئنة ... فترة من فترات البناء القصصي حتّى تحكم العقدة وتصاغ الاحداث .

المسافــر : يالها من حقيقة مريعة ... أحاول نسيانها لكنها تصرّ على الانتصاب أمامي كالقدر الساخر ... في كل خطوة أخطوها في كل حرف يصدر عني ... في في كل حركة أمثلها على ركح التاريخ ... نحن نشيد مصيرنا هرما من الكذب والتدليس ... ثمّ نكتشف فجأة أننا مجردّ شخوص وهميّة لقصّة تخيلّها الكون . فأتقن رصف أحداثها وأرادني أنا بطلا لها... يحركّني معصوب العينين الى حيث يشاء ...

الصبيّـــة : انّ وجودك في القصة لا يهمّ كثيرا ... بل فكرّ في المدينة التي وقع عليها الاختيار لتكون مسرحا للاحداث .

المسافــر : مدينة جائعة موبوءة تحمل أحجارها عري القرون .

الصبيّـــة : لكنّها راسخة البناء ... تذكر أنها صمدت في وجه البلى ورفعت سورها وأوقدت مناراتها هديا في التاريخ .

المسافــر : وذات صباح ... يا أميرتي المعبودة ... أقفرت الشوارع وآنبح النداء العارم... ودكتها سنابك الخيل...وعمّرها الدخيل بمعابد الوهم . وتقنعت وجوه أهلها ...

الصبيّـــة : انكّ تراهم باقنعتهم ... عاجزين كالقصب الفارغ على ضفاف النهر يموتون في ظلال قلعتي ...

المسافــر : من كان يعتقد أنني أنجو من هذا المصير ؟ ... وأحتفظ

بكيـانـي ، بمـلامـحي وأقـف تجـاهـك تيـارا جامحا شحنة كبرياء ... بينما تنطمس التعابير على كلّ الوجوه وتمحي شيئا فشيئا كأن هذه الوجوه نقود قديمة أتى الدهر على نقوشها ... كيف نجوت من النسيان والمسخ ؟

الصبيّـة : النجاة أيضا من بعض أبواب هذه القصّة ... لوفرضنا أنك رجل مجهول القدر تذرع أدغال العالم في إصرار وكبرياء... ثمّ تموت ذات مساء في وحشة وعزلة ... لو فرضناذلك لما تعلقنا بالقصة تعلق الاطفال ... ولما شاقتنا مغامرة الحياة ... ان نجاتك شرط من شروط البناء الخيالي ... تماما كارادتك ...

المسافـر : ارادتي ... نعم ... انّي أحملها في شراييني كدمائي ... أنظر من خلالها الى الاشياء بل هي التي تحركني ... ارادتي هي أن أحرق المدينة وأهندسها من جديد

المقنعون : (في صوت واحد) النار هي الموت... النّار هي الموت .

المسافـر : النّار هي الميلاد ... هي التشييد على أنقاض الوباء ... إنكم ستبعثون بعثا قدسيّا فيه من طهارة النارما فيه ....

أحد المقنعين : نحن نطالب بوجوهنا ...

مقنـع ثـان : لقد فقدناها حينما جعنا ... حينما عقمت الارض .

الصبيّـة : الجوع ... لقد ظلّ الجوع مأساتهم يستيقظ في تاريخهم كالمارد.

المسافـر : كأنما الجوع هو الالم البشري الوحيد ... (الى المقنعين) تأكدوا أيها السّادة أنّني لم أجع يوما في حياتي ولكني تألمت ألف مرة ... تألمت بضراوة وحدّة وقسوة حينما آختنقت كلماتي في حلقي ، تجمّدت ... تألمت حينما اردت يوما أن أكتب فجفّ الحبر في قلمي

وراحت الريشة تدزق بياض الورقة ونداءها كالظفر المتوحش .
....تألمت حينما آستحال لحمي الى مأدبة فاخرة أقامها الغرباء وراحوا يأكلون ويضحكون ويمارسون الجنس والقتل في بلاهة . كلّنا نتألم ، صدقوني ...

الصبيّـــة : وأنت ستشيدّ مدينتك درعا ضدّ الالم .

المسافـــر : نعم.وهيواحة عبرالقفر والخراب ...في ظلالهايتعانق العشاق .... يصنعون الحبّ ... يحلمون .

أحد المقنعين : الحبّ خطيئة ... الحبّ ذنب

الصبيّـــة : مادمتم تقترفون الحبّ كما تقترف الذنوب ... مادمتم تحيون كالجرذان ، فسوف لن تدخلوا عالم المحبّة الرحب ....وستبقون في عالم اللغّط والوهم بهذه الاقنعة الكاذبة ... خاشعين في صمت هذه القاعة الامينة .

المسافـــر : هم ينعمون بالموت ... أوبما يشبه الموت تاكلا وطاعة وقهرا . يخيلّ لي أن ارادة الترحال والاغتراب تعاودني ... وأنّي أجوع من جديد للقطار الذي يأخذني للبعيد ... انني أهرب من موت هؤلاء وأحس بحنيـــن غامـــر للمرأة التي أحبها ...

الصبيّـــة : هذهالمرأة هيضوءآخر تراه في منتهى الرواق الموحش ...

المسافـــر : نعم ... هي الجسر الذي أعبره للنور ... هي فراري من الموت لانها تشبه الثورة في انفجارها وقداستها ... اسمها قمر ... وهى تعيش في المدينة الجائعة الموبوءة ؛ تنتظرني في صبرالزيتونة .

أحد المقنعين : كلنّا عرفناها ... كلنا أحببناها .

ولم تكن سوى بارقة سراب
انّها الخائنة المنتصبة في كل طريق ...

مقنع آخر : انّ قمر هي التجريد الحقيقي للشر، وهي شرك منصوب للغافلين ... سنراك ذات يوم بلا وجه ... تتعلّق بامال واهية موضوعة وتبحث في أمن هذه القاعة عن ذكرى أو جذور ... بعد أن يحاكمك التاريخ بتهمة مختلقة .

المسافر : لا يمكن أن تكون قمر سوى تجسيم الوجود في عنفوانه وخصبه ... ولكنكم مخطئون ، أعشت عيونكم ذبذبات الحياة حولكم فخلطتم بين الوفاء والخيانة ، بين المحبة والحقد ... آه يا قمر متى أتقدّم نحوك وأقف أمام الاسوار العالية ... ثم أقتحمها كالاعصار ... فأفجرّ من أعماق الناس نارا تلظى ... نارا تأتي على الوباء المزمن تجتثه من جذوره .

مقنع آخر : ينقصكم الايمان ... ايمانكم بالاحراق ... تعلموا كيف تؤمنون قبل أن تقدموا على الرحيل ... تعلموا كيف تستمعون لنداء الجياع في العالم ... تعلموا كيف تصبرون على الالم و.. كيف لا تحلو لكم الموائد حينما يجوع الفقراء في السهول .

الصبيّة : القضيّة ايمان من أساسها .

المسافر : انّ ما يقوله هؤلاء أيتها الحالمة بين العواصف هو محاولة لتحطيم ارادتي ... أنا ضعيف الآن حتما ... ولكنني حينما أعانق قمر وأقف أمام نظراتها ، أصبح جبّارا عنيفا عاصفا ... هي قدرتي على التحدّي ... هي قدرتي على التجاوز .

مقنع آخر : بل هي المرأة ... المرأة الخالدة ، دعوة فاجرة للذنب نتساءل الآن ونحن مجهولون ، وجوهنا مطموسة : كيف أغرتنا هذه المرأة ... وكيف انطلقنا عميان وراء سراب خادع ... أردنا أن نغيّر الارض ... نغيّر الإنسان ..

أردنا أن نمنح الهدى للضائعين ... قلنا للناس ... جئنا نقدّم لكم الحرية والمحبّة ... ثم آكتشفنا سرنا المبهم .

مقنع آخر: لسنا سوى مساجين مسلوبي الحرّية ... أطلق سراحنا بأوامر خاصّة لوقت قصير ... لسنا سوى كتل من الحقد والكراهية ...

الصبيّـة : هكذا كانت ارادتهم ضربا من الخسارة ... كذبة كبيرة أضحكت العالم ... وهاهم أمامك كالاعشاب البرّية ... وأنت فيك صبر الزيتون وايمانه وقدرته على الحياة والعطاء والتجدّد .

المسافر : سوف أرحل ... سوف أرحل ... حينما تشعرين بالنار تكتسح الاحلام القديمة ... تعبر الغابات وتأتي حتّى على صقيع البحار ... حينما تحترق الوجوه الشمعيّة الجامدة وتندثر الكلمات البلهاء وتنهار أسوار المدن الموبوءة ... ستدركين حينئذ أنّني وصلت وانّ النّاس أفاقوا من رقدة التاريخ الكاسد ...

الصبيّـة : هو ذا الباب أمامك ... يفصل ما بين المعلوم والمجهول فأعبره كالبطل الخرافي ...

المسافر : انّ هذا الباب يفصل بين الواقع والاسطورة ... يعبره كل الناس في يوم من أيام حياتهم ، يدرون أو لا يدرون ... حينما يجدون أنفسهم تجاه هذا الباب الذي يطرح عليهم كالسؤال ... يتعدون عتبته كما يتعدّى اليقظان عتبة الغفوة ثمّ الحلم ...

مقنـع : لكنك تدري ... أنت في قمة وعيك ... انت استوعبت العالم وأصبحت مرآة لما يدور حولك ... أنت عرفت نفسك ... وفهمت أغوارها .

مقنع ثـان :ثمّ التفتّ الى جسـدك فشرحتـه واستجليت خفايـاه ... عضوا عضوا ، وخليّـة خليّـة .

مقنع ثالث : وبعـد ذلك تأملـت الكـون والفضاء ... وانطلقت من الصفر الى اللا نهـايـة ... ورأيت الارض ذرّة تسـرح في رحب العـوالـم ذرّة تافهـة بائسـة .

مقنع رابع : ثم رحت تحـدق في الماضي السحيـق ، تنبش عن جذورك فوجدتهـا تنبع من العـدم وتنغـرس في الـوهـم ...

الصبيّـة : ادراك تـامّ ... لا مكـان للعجـز فيـه ...

المسـافـر : أدركت كلّ شيء ... حقّـا أدركت كلّ شيء ... فعزلت نفسي عن عـرشي القـديـم

مقنـع : تقـويض العـروش البـائسـة ... من صنـع هـذا الـزمـن ...

الصبيّـة : عبثـا تبحـث عن عـرش آخـر ... أنت تعلـم الآن كلّ شيء ... فاعلم ان هؤلاء أيضا حلّوا بهذا المكـان يبحثون عـن عـروش لأحلامهـم وهم مجهـولـون بلا معـالـم تـذكـر ... وهاهم في قـرارة اليـأس ...

المسـافـر : كنت دائمـا أحلـم بعـرش ... منذ طفولتي ... ولكـم تخيلتـه في المـدن الضبابيّـة البـاردة ... أو رسمتـه في أدغال الاسمنت والحضارة المـرقمـة ... أو تصورته في المعا بد التي تـرتـادهـا الخـرافـة والخذلان ... والآن ... عنـدما وقفت في هذه القـاعـة تجـاه هؤلاء ... وأمـام عذريتك المقـدّسـة المجهـولـة عـرفت أن عـرشي لا بدّ أن يكون في السّفـر الـدائـم ... في تقويض المدينـة العجـوز ... وهنـدسـة المدينـة العـذراء ... عـرشي يكمـن في احـراق المبـانـي الموبـوءة ...

الصبيّـة : رائع ... كلّ ذلك رائع ...

مقنـع : هـو رائع لانّـه أدب في أعماقـه ... لفظ مجـرد لفظ ، نحـن نشاهـد الطبيعـة في اعجـازهـا المكيـن ونـرى البحـار والجبـال والمحيطـات والانهـار نلمـس كلّ يـوم ميـلاد الطبيعـة بأشجـارهـا وأعشـابهـا وصخورهـا ... ونتوق الى فـرض ذواتنـا ... نحـن نكتب من أجل ذلك ... من أجل تقليـد الطبيعـة في جوهـرهـا ...

مقنع ثان : ولكنّنـا نفشـل ... لسنـا سـوى دود يـزحف على التّـراب ...

الصبيّـة : القضيّـة تـوجـز في أنهـم لا يحيـون بعمـق ...

المسافـر : لانهـم لا يتـألمـون ...

(يسحبهـا من يـدهـا ويقفـان معـا على عتبـة البـاب)

المسافـر : تأمّلي يـا مـولاتي شاسع الارض ... وتصوّري ان عبرهـا يتـألّم النّـاس ... جـوعـا وخـوفـا ومـوتـا وعـريـا وصمتـا ونسيـانـا ... تصوري ... وتـصوّري أن الـقطـار الـذي سيـأخـذني ... سيحملني للذين يتألمـون حتّى أحثهم على الايمـان بالـرفض ... وأحـرق معهـم شـوارع الـوبـاء ، فيـولدون مع أشعـة الشمس في الفجـر القـادم ... أنـا أعلم انّ رجالا آخـريـن مقنعيـن يطـاردونني ... يجلسـون الآن وراء المكـاتـب في بنـاءات موحشـة موصدة الابـواب ... يصدرون أوامـرهـم لـرجـال آخـريـن ... مقنعيـن هم أيضـا يبحثـون عن آثـار أقـدامي في الطـرقـات ... يستنطقـون كلّ النّـاس ... ويطلقـون ورائي كلابهـم ... أعلـم ذلك ... وأنـا واصل لا محـالـة للمدينـة البـاردة المـريضـة ...

الصبيّـة : طالمـا أعجبت لاحكـام البنـاء في هـذه القصّـة ... هي تشـويق لا ينتهـي ...

المسافـر : وأنا ارادة لا تنتهي ... (يأخذ حقيبته) أشعر بطوفان من الحنين للسفر يجتاحني، رغبة في الالم والبكاء تعاودني تحرّك قدمي الى المحطّة ...

الصبيّـة : وداعا أيها الرجل

مقنـع : نفس الطريق ونفس القطار ... سوى لذة الإكتشاف ... تتجدّد مع كلّ المسافرين ... ثمّ فجأة ... الندم الساحق ...

مقنع ثان : يخيّل لكلّ المسافرين أنهم يبتكرون ولكنّهم يعيدون نفس الحركات ... برتابة ولا معنى

المسافـر : أنا أولد الآن ... أبعث من جديد وما عدا ذلك فصمت وعدم ... تأملي السماء في مخاضها ... والارض في عطائها ... وحركة القطار يعبر السهول ويقف في المحطات ليمنح للنّاس طاقة المحبّة والرفض والرحيل ... هي الحرّية في جوهرها ... هي الحريّة ...

الصبيّـة : وهذه القاعة ... أين تضعها من هذا العالم؟

المسافـر : كما ينعدم الوزن في الفضاء ... تنعدم الحريّة في هذه القاعة ...

مقنـع : الاعشاب وحدها تنبت في حريّة ...

مقنع ثان : (في صوت أبله خال من التعبير)
تحيا الحريّة... تحيا الحريّة .

مقنع ثالث : آه أيتها الحريّة، سوف تنهمرين ذات صباح مع المطر

مقنع رابع : أيتها الحريّة المقدسة سوف تنبتين في الحقول ذات ربيع مع الازاهر البريّة والاعشاب ...

مقنع خامس: أو سوف تشرقين مع الشمس .

الصبيّــة : غناء رائع ... صلاة خاشعة ومناجاة بتول .

المسافــر : هي لا تتجاوز الثرثرة ... أنا أشتاق للصمت ... فالصمت ميلاد ... وهؤلاء موتى ينتظرون قبورا ... ينصرف وداعا ..

مقنــع : يجب أن نفكّـر في اعداد مكان لهذا الغريب أيتها الاميرة ... سيعود ذات يوم فاقد الوجه كأيّة حشرة مجهولة ...

الصبيّــة : كنّا له بمثابة الواحة ... استراح وواصل ...

مقنع ثان : بل بمثابة حلم مزعج ... كنا نحن شخوصه ... عرّفناه في فراغ القاعة بما ينتظره في مستقبل الايام ...

الصبيّــة : المستقبل في سياق الاسطورة وهم ... كالماضي والحاضر ... لا جدوى للزمن ليس من موجود سوى التاريخ يمتدّ كالظلّ المخيف ... يمتزج الزمان ماضيا وحاضرا ومستقبلا لإحكام البناء القصصي في الاسطورة ... ثمّ لا دقائق تذكر ، لا ثوان ، لا واقع ولا خيال ... تصبح الحدود لا مرئية تتحوّل الى ضباب ... تتبخر ...

مقنع ثالث : نحن اذن نقع خارج الزمن ... ومن أجل ذلك نحس بصعوبة الحركة باستحالة النموّ ...

الصبيّــة : هو كذلك ... أمّا المسافر فيقع في قلب الحركة ... هو المحور الاساسي للزمن ... حوله تدور الاشياء كالاقمار ...

مقنــع : أحسّ أنّنا نشترك وايّاه في منطلقنا ... لقد نبعنا من نقطة واحدة ... وها نحن نفترق افتراقا مؤقتا ...

هو يحبّ الغزو الدائم للمجهول لانّـه يشعـر بالفوضى ونحن نرتـاح في أمـن قاعتـك أيتهـا الحسنـاء لانّنـا متنـا وتحجر فينـا الإحسـاس ... نحن ثمـرات النظـام الـدائـم ... نكره الفـوضى نهـرب منهـا ... نعيش في الظلّ ...

الصبيّـــة : كـان عبـوره بنـا كعبـور الـريـح ... رغم أننـا أوصدنـا الابـواب والنـوافـذ ...

مقنـــع : انّ المسـافـر يـدخـل من أعمـاقنـا ... يجتـاز خلايـا الحياة فينـا ... ينبـع من ماضينـا ليستقرّ بيننـا كالشبّـح ...
(يطفأ جـزء من الاضـواء لتسبح القـاعة في نـور ازرق شفاف)

الصبيّـــة : الانتظـار صعب ... هو قادم لا محـالـة بعـد اليأس ، سيلفظه قطـار السنـوات العجـاف بيننـا ... الإنتظـار صعب والليل أقبـل بصمتـه الموحش ... فلنغنّ للغـائب لحـن الانتظار ... علنـا ننسـى

مقنـــع : النسيـان رهن اللّفظ واللحـن ... النسيـان يـولـد من خشوع أغـانينـا وصلاتنـا .

المنشدون : (يتمتـون ، يـرفعـون أيـديهـم)
يـا أيّهـا المسـافـر بـدونمـا وطـن
في قلبـك المغـامـر ينتحـر الـزمـن

المرجعون : ألف لام ميم .
ألف لام ميم .

المنشدون : ينبـوعنـا الالـم احساسنـا بالموت
مصبّنـا العـدم ورحلـة في الصمـت

المرجعون : الف لام ميـم
ألف لام ميـم
(ينصرفـون تطفأ الاضواء ... الضوء مسلط على العـرش) .

ستـــــار (يتبـع)

الاحمرة

قصة ، بقلم : محمد باردي

(الفن الخالص لوجه الجمال الفني هو الارقى والابقى)
ـ الحكيم ـ

أمام دكّان الحاج مبروك كانوا يتحدّثون أحاديث لم يعرفها الحي من قبل . فرغم ما في أصواتهم من قوّة وحرارة . فقد كانت تعلو وجوههم سمات حزن عميقة . أمّا النسوة فقد كنّ يجئن ويرحن أمام الدكان . يرمقن في حيرة رجالهن . فما عساهم أن يفعلوا هذا اليوم .. وتضع امرأة جرّتها الثقيلة فوق كتفها ، ولكن عندما تشعر أنها قد استقرّت فوق ظهرها ، تمر تتبع جارتها ولكن لا تنسى أن تتمتم في غيظ :

ـ آه ، عملتها فينا يا بهيم يا كلب ...

وعندما تصل هذه الكلمة اسماع جارتها تثير في نفسها أحاسيس كامنة فترد عليها وهي تكتم غيظا كان باديا على وجهها :

ـ آه يا روحي على « بهيمنا » ، حتى الحكومة ما استطاعت أن تفعل شيئا ...

الحكومة ... كان لفظ الحكومة ما ينفك يتردد على السنة الرّجال أمام دكان الحاج مبروك وكان الحاج مبروك يضع أصابعه فوق أذنيه ـ يجذب خيط نظّارته التي تحطّم أحد طرفيها ثم يقول في وقار :

ـ دعكم من الحكومة يا ناس ... وهل الحكومة أقدر من ربّنا ...
ويصمت الرجال ولكن فلاّحا شابا أجاب الحاج مبروك قائلا في تهكّم :

ـ وربّنا أيضا ... ماذا صنع لنا ...

فرمقه الحاج مبروك بنظرات ثاقبة. فخشي الحاضرون أن يسلط عليه لسانه ولكن سرعان ما القى نظراته بعيدا على شيخ الحي الذي يقبل من بعيد على درّاجته، فسكت الرجال ينتظرونه فماذا عسى أن يقول هذا اليوم...

أوقف شيخ الحي درّاجته ثم أخذ ينزل في بطء ولكن رغم ذلك كان الفلاحون ينتظرون منه شيئا خطرا لا بد أن يفوه به، فما انفكّت نظراتهم تتبعه وهو يمضي اليهم كأن شيئا لم يحدث. ولكن الحاج مبروك مضى يسأله كعادته ولما يصل بعد:

– هل من جديد يا شيخ...

وأما الشيخ فلا يريد أن يتكلّم قبل أن يصل اليهم وينهض أحدهم فيترك له الكرسي الذي كان جالسا عليه. وكان لا بدّ للفلاّح الشاب أن ينهض احتراما للشيخ خوفا من أن يسلّط عليه الحاج مبروك نظرات تجمّده في مكانه... ولكنهم اليوم قد وقفوا جميعا ولم يدعوا الشيخ يلقى جسده الثقيل على الكرسي... فأخذوا يمطرونه بالاسئلة:

– ماذا صنعت الحكومة؟

– هل من جديد؟

– ماذا قرّر الطبيب؟

ومكث الشيخ قليلا صامتا ريثما يعود الهدوء. ثم قال:

– أمرنا لله... مامن دواء ياجماعة...

كان عليهم أن يسكتوا قليلا لان الاهم لم يقله بعد. كان يريد ان يقول أشياء أخرى خطرة. ولكن الحاج مبروك لم يدعه يتم حديثه فقد عجّل قائلا وهو يصفّق تصفيقا ينم عن سخط:

– أمرنا لله... حتى الحكومة عاجزة...

وعاد الرّجال يتذمّرون ويسخطون... أما الشيخ فقد ظل صامتا ينتظر عودة الهدوء حتى يتم حديثه، ولما تيقن أنّ الحاضرين قد عاودهم الهدوء وأنهم ينتظرون كلامه. قال لهم:

— الحكومة تأمركم باخراج أحمرتكم خارج المدينة حتى لا تستتبّ العدوى.

وعادت الجماعة الى التذمّر والسخط ، فقال الحاج مبروك في غيظ :

— أقسم بالله ما أخرجت حماري من البيت ..

وأحسّ الرّجال أنّ للحاج مبروك قوّة لا تنهار هذه المرّة ، فأقسموا ألاّ يخرجوا أحمرتهم من دورهم ولكن الفلاّح الشاب قام مرّة أخرى موجّها كلامه الى الحاج مبروك :

— حمارك هو السبب لكل ما حدث .

فألقى عليه نظراته الثاقبة ، ولكنه لم يستطع أن يكبت جماح غيظه وقد شعر أنه أهين أمام الرّجال فصرخ قائلا :

— ما هذا الكلام ياسي « الشبّب »

— ألم يكن حمارك في البادية ؟

وعند ذلك علا وجه الحاج مبروك اصفرار وشعر بهزيمته ، فظلّ صامتا بينما قام الرجال صارخين :

— ألا لعنة الله على حمارك يا حاج مبروك ... لعنة الله على حمارك يا حاج مبروك ...

* * *

ظلّ موضوع الاحمرة محور الحديث مدّة طويلة في الحي ... فمنذ انتشر الوباء واستتبّت العدوى لم يعد للفلاّحين حديث سوى عن الاحمرة ولكن امرأة لا تنفكّ تقول كلّما وضعت القلّة الثقيلة فوق ظهرها :

— خرّب الله بيتك يا حاج مبروك ...

ولكنّها لا تجرؤ أن تتمّ حديثها عندما تمرّ أمام دكّان الحاج مبروك . ودكّان الحاج مبروك يظل دائما يستقبل فلاحي الحي رغم ما ألم بهم . وقد ظلّوا اليوم جالسين كعادتهم ، والحاج مبروك أمامهم يحادثهم

ولكنه يحاول دائما ان يتجنّب موضوع الاحمرة خشية أن ينطلقوا في وجهه يلومونه ... ولكن لا بدّ له من أن يكفّ عن الحديث عندما يسمع صياح الاطفال الصغار وصراخهم. فيمسك نظراته فوق أنفه، ثمّ يطل برأسه في الشارع الطويل ولكنه لم يستطع أن يكبت صرخته الحادة :

– هذا حمار يا رجّالة ...

لا يستطيع سكّان الحي أبدا أن يكفّوا عن الضحك، كلما رأو الخالة سليمة. فقد كانوا يقولون عنها إنها مجنونة ولكنهم كانوا يقولون عنها أشياء أخرى. أما العجوز فقد ظلّت اليوم تتهادى فوق حمارها وهي تمر في شارع الحي خارجة من دارها الملقاة في مكان ما من الحي ... كانت تعلم أنه لا بدّ أن تكون الاشياء قد تغيّرت في الحي ولكن لا بد أن تذبّ بمقودها الطويل على ذيل الحمار أو تلقي به في وجوه الاطفال الصغار الذين يصيحون وراءها :

– خالة سليمة راكبة على بهيمة. خالة سليمة راكبة على بهيمة ولكن لا بدّ لها أن تلتفت اذا ما أعياها الامر فتبصق في وجوههم قائلة في غلظة :

– يا أولاد الحرام

وتظلّ جالسة فوق الحمار ولكن الحمار عليه ان يقف : يبحث عن مكان ينفذ منه الى الطريق فلم يجده فقد تجمّع الرّجال يتقدّمهم الحاج مبروك الذي صرخ

– انزلوها وأخرجوا هذا الحمار الكلب من الحي ..

ولكن الخالة سليمة، تريد دائما أن تبقى جالسة فوق حمارها، ثمّ ابتسمت قائلة :

– ماذا تقول يا حاج العفاريت.

فانقضّ الرجال عليها ينزلونها ولكنها أخذت تصيح صياحا فأقبلت النسوة والاطفال الصغار الذين تجمّعوا صائحين :

– خالة سليمة راكبة على بهيمة ... خالة سليمة راكبة على بهيمة فتراجع الحاج المبروك قائلا :

– لننتظر قليلا ريثما يقبل الشيخ ..

وسرعان ماأقبل الشيخ على درّاجته العتيقة . أما سليمة فقد ظلّت جالسة فوق حمارها ووجهها يفصح عن مكر ودهاء . ولكن شيخ الحي بادرها قائلا بلهجته الآمـــرة :

– انزلي يا عجوزْ .. انزلي ... انزلي ...

والعجوز تجيب بلهجة ساخرة :

– انزل .. انزل الى أين .. الى دارك أو دار أبيك ...

فانطلقت ضحكات الفلاّحين قويّة فأثارت غيظ الشيخ الذي قال صارخا :

– قلت انزلي .. ودعي الحمار ، هذا أمر الحاكم ..

والعجوز لا تريد أن تكف عن السخريّةوالمجون :

– الحاكم ... آه ، اسمعوا .. ماذا يقول شيخكم .. يقول الحاكم ...

وضاق الشيخ بها ذرعا فأحس أنها تهين صميم شرفه الحكومي . فقال مزمجرا في حدّة :

– اخرسي .. ياساقطة ... يا سافلة .. يا ...

ورأى النسوة واقفات مع الاطفال ينظرون الى هذا المشهد الطريف فأحس أن جبينه يندى عرقا ..

والعجوز تظل تضحك ثم تقول :

– لا تغضب يا شيخ المجانين ، قلت لن أنزل ..

وعندئذ رأى أنه لم تبق الاّ طريقة واحدة ، فالتفت الى جماعة الفلاّحين آمرا :

– انزلوها وخذوا الحمار ، هذا أمر الحاكم

وانقضوا على العجوز يأخذونها من فوق الحمار بينما أخذت تصرخ عاليا وعلى شفتيها كلمات بذيئة ، فلم تستطع النسوة أن تكتم

ضحكاتهنّ الرقيقة ولمّا وجدت نفسها فوق الارض نظرت اليهم ثمّ قالت ساخرة :

– الحاكم ، آه الحاكم ، الحاكم يحكم في رقابكم

فعاود الضحك الجميع ، ثمّ أخذت طريقها الى دارها في آخر الحي ، والاطفال يتبعونها وهم يصيحون قائلين :

– راحت «البهيمة» يا خالة سليمة ...

وعندما أقبل المساء لم تزل بعض النسوة واقفات أمام الحنفية أو غاديات رائحات في الشارع الطويل الذي جلس عنده الرجال أمام دكان الحاج مبروك يثرثرون كعادتهم وامرأة تمر في الشارع فترفع رأسها لتقول محدّثة نفسها :

– عملتها فينا يا حاج مبروك ، خرّب الله بيتك ...

وظلّ الشيخ جالسا على الكرسي في الدكان ، أمامه الحاج مبروك الذي قال متندّرا :

– وبعد ... ماذا ستصنع الحكومة ...

وأثار السؤال تهكمات الحاضرين وضحكاتهم الساخرة ، ولكن الشيخ قال متصنّعا الوقار :

– ألا يكفيكم أن الحكومة أنقذت لكم بقية حيواناتكم .

وهذا الكلام لم يقنع الجماعة فلم يرد أحدهم أن يقول شيئا ، غير أنّ صياح الاطفال تعالى من بعيد في الشارع ، فقام الحاج مبروك كعادته ولكن ما أن نهض حتى صرخ قائلا :

– الاحمرة .. الاحمرة ، يا جماعة ...

وقام الرّجال وظلّوا واقفين أمام الدّكان ، وقد غلبهم الضحك ينتظرون قافلة الاحمرة الآتية ناهقة من البعيد . والاطفال وراءها يتصايحون ولم يمض وقت طويل حتى صاحوا قائلين في استنكار :

– هذه بهيمة سليمة ... بهيمة سليمة

وأتان الخالة سليمة تضرب بحوافرها على الارض ووراءها حماران

عظيمان يتنافسان يحاولان اللحاق بها . وقافلة الاحمرة تدخل الحي تتناهق والاطفال الصغار يتصايحون خلفها فيختلط النهيق بالصّياح ولم يستطع الشيخ أن يكبت غيظه فقال ساخطا :

— لعنة الله عليك يا سليمة يا ساقطة ...

والاتان تقف فيعلوها حمار كبير . ذلك هو حمار الحاج مبروك ، فيضحك الاطفال ويقهقه الرّجال . أمّا الحاج مبروك فيغلبه الحياء ولا يستطيع أن يقول شيئا سوى أن يتمتم :

— هذا عبث... الاحمرة تعبث في الحي .. هذا عبث.. عبث ..

ولم تمرّ لحظة حتى أخذت بقية الاحمرة تتوافد ... وأخذت تجول في شوارع الحي مع الاطفال الصغار تتبع الاتان ناهقة . ومال الحاج مبروك الى شيخ الحي قائلا :

— لعنة الله على سليمة وعلى أتانها ..

ولما لم يرد عليه صاح في الفلاحين والاطفال الصغار :

— هذا كفر .. الحجر على من كفر .. الحجارة على رأس سليمة الساقطة ...

وبلغ صوته اسماع الفلاحين وانطلقوا يعدون في الشارع ، يلتقطون الحجارة ... ولكن الشيخ حذّرهم قائلا :

— رمي سليمة بالحجارة يعتبر مخالفة للقانون ... وتحديا للحاكم ..

ولكنهم لم يأبهوا لكلامه ، بل أجابه الحاج مبروك قائلا :

— دعك يا رجل ...

م. ب.

قابس (2 اكتوبر 1969)

انفجـــــار

شعر : حمادي التهامي الكار

إلــى : محمود درويش

①

بآستطاعتكــم غلق الباب في وجهي
بآستطاعتكم صفعــي
أو قتلــي أو حــرقــي
بآستطاعتكم باستطاعتكم
لكنّني لا أيأسْ
لا يطفــأ العــزم في عيني
أنــا الإصــرار في قلبــي
أنا الانــوار في دربي

②

أمقتكم يا حسّادي
أخشى عليكم من فيضان الــوادي
أخشى عليكم من انفجار البركــانْ
من غضبتي يوم تنحلّ أصفــادي
أمقتكم يا حسّادي
يمقتكم حتّى اضطهادي

③

بوسعكم شنقي
بوسعكم أن تقطعو عنقي
ما دام لا يحلوا لكم نطقي
وما دام يخجلكم أن تسمعوا همسي
فلتعملوا على محقي

④

أنا رغمكم بالحبّ مفتون
رغمكم أرقصْ
أعصر أيامي حليبا أزرقْ
أطعم الصمت كلاما مطلقْ
أنا رغمكم بالضوء مشحونْ

حمادي التهامي الكار

5 نوفمبر 1969

غريب في عالم آخر

قصة قصيرة بقلم : محمود دمــق

الكل يمشى وهو لا يمشى ...

الكــل يتحــرك وهو لا يتحــرك ...

ونظر حواليه فرأى الجمع يسير بسرعة جنونية ... الباعة المتجولــون والاطفال والقطط يقفزون أمام عينيه قفزا . أقدام تتشابك وأرجل تتداخل فى حركة لولبية مذهلة . كلهم يسرعون وكأنهم فى مباريات عـدو خطير . ارتاع واندهش ثم تساءل بحيرة وقلق ما هذا الذى يرى ؟

لقد انقلبت عجلة الزمان ، وانقلب معها الانس والحيوان . الكــل يسرع ويتحرك ويجرى ولكنه لا يسرع ولا يتحرك ولا يجرى مثلهم انه ثابت كذلك العمود الذى أمامه . التفت فجأة وابتسم ابتسامة عريضة . لقد اكتشــف أنه يمشى كالآخرين وأنه قد ترك ذلك الحانوت ذا الباب الازرق وراءه . فقد دخله منذ برهة ليشترى منه علبة سجائر . أعاد الالتفات ليتأكد من أنه يسير ويتحرك فلمح يافطة الحانوت تكـاد لا تقـرأ ... وقهقـه بانشــراح . لكن سرعان ما أنطفأت قهقهته وانصهرت فى حلقه عندما نظر أمـامه فـرأى انـه لا يمشى ، والكل يمشى ، وأنه لا يتحرك ، والكل يتحرك . وأحس بيد تمس كتفه ثم بصديق يمد اليه يده مصافحا فنظر اليه مشدوها ثم ابتسم مسلما لكن صديقه سأله بحيرة واشفاق :

ـ مالـــك ؟

ـ ...

ـ ماذا أصـابـــك ؟

وشعر برعب وخوف لم ير لهما مثيلا ... ان صديقه يسأله ما به . لقـد اكتشف هو الآخر أنه لا يمشى . وأمسك يد صديقه بشدة وكأنـه أمســك بشىء ثمــين .

ـ انى ... انـــ ...

ولكنه شعر باليد قد أفلتت منه وأن صديقه قد أصبح بين أولئك الناس يجرى مثلهم ويسير سيرهم الجنونى . حاول أن يتحرك لكنه لم يستطع شيئا فرجلاه قد أصبحتا مثبتتين بالارض ، كذلك العمود الذى أمامه يشع من رأسه نور خافت ثقيل . وصاح مناديا صديقه صيحات متتابعة قوية . واذا بعجلـة الزمان تقف . ويعود الانسان والحيوان كما عهدهما . ويقهقه قهقهة عاليـة مزمجرة مخيفة . الناس كلهم حوله ثابتون ، محملقـون ، محيطـون بـه ، لا يتحركون ، وفى أعينهم حيرة وتساؤل وانزعاج . وأعاد قهقهته بأشد مما كانت ، وسمع حوله لغطا وحديثا وضحكا . وشعر بتراخ وطمأنينة . لقـد أصبح مثل الناس . والناس مثله . واذا بأحدهم يتقدم اليه . فيرتاع . لكن الآخر يمسك بثيابه فيصيح صيحة مرعبة شتتت الناس من حوله . وما شعر الا والناس يتحركون شيئا فشيئا ثم يأخذون مسيرهم المخيف ... المسرع ... الجنونى . أحس بآلام قوية فى رأســه ، فى معــدته ، فى رجليــه ، فى جميع أنحاء جسمه النحيف . ويعود اليه الارتياع والاندهاش ويثبت عينيــه بشدة فيرى كل شىء يتحرك . يتحرك . يتحرك . يتحـرك . ويحـاول أن يصيح لكن صوته يختنق فى حلقه . ويشعر بأيد تحمله ، ثم بجسمه يتحرك بنفس السرعة التى يجرى بها حاملوه . فيستسلم ويغمض جفنيه بقوة . لكن الحركة والسرعة والجنون والدوران والتشابك ما زالت تعيش معه ، فى ظلامه الحالـك .

ويتحرك بأسترخاء . الكل فى هدوء ووداعة ولطف . بياض ناصع متفائل جميل . خيط نحيف مجهد يحمل فى طرفه كرة بيضاء انعكست عليهـــا بعض أشعة الشمس فاصبحت ممتزجة بحمرة مغرية . هدوء . لا صـــوت لا حركة لا دوران . لا جنون . ويحملق مليا . العالم من حوله كما عهده من قبل . ويجد نفسه على سريره العادى ثقيل الرأس ، متوتر الاعصاب ، ويسأله زميله فى البيــت :

ـ ما بك البارحـــة ؟

ويجيبه وعيناه فى السقـف :

ـ كنت فى عالـم آخـر .

م° د°

ندوة القرّاء

الصورة الشعرية

« فى غير العمودى والحر »

بقلم : عبد الجبار الشريف

عندما بدأ الشعر الجديد المعروف بغير العمودى والحر يثبت أقدامه فى عالم الأدب التونسى ، لم يكن فى مقدور الفئات المضادة إلا أن تلعب برؤوس الناس باشاعاتها • وقد بدأ الهجوم بتوجيه اعتراض على الشكل الجديد (التفعيلة ــ الوزن) بيد ان بعض نقاد هذا الشعر الجديد ورواده أثبتوا أن قضية العروض مسألة شكلية للغاية وثانوية على اعتبار ان الخليل بن أحمد قنن المرحلة السابقة ولم يضع دستورا للمستقبل بل حتى ولو كان الخليل قد وضع عروضا للمستقبل فلا يصح ان ننظر له نظرة تعظيم وتقديس • • وعندها بدأت الفئات المضادة ترمى آثار الشعراء الجدد بالتفاهة أى أن آثارهم ليست بالعمل الفنى • وغنى عن البيان ان للعمل الفنى شروطا بديعة لا يمكن اغفالها وهى بالقياس للشعر : صدق التجربة الداخلية التى صدر عنها الأثر ، وبلاغة الصياغة البيانية وقوة الايقاع الشعرى الذى يحمل الى الآخرين ما يسمى الغبطة بالشىء الجميل وابتكار المعانى والصور ، وعن الصورة سوف نقصر حديثنا هذه المرة •

تقول المعاجم العربية : الصورة : الشكل ، كل ما يصور • وأيضا : الصفة ، النوع ، الوجه •

ويوجز بعضهم فيقول : انها تعبير يتفاوت من حيث الشكل والحجم ويوحى بأكثر من معنى وقيمة •

والصورة قد تكون لغوية وقد تكون أدبية أو شعرية • وتنشأ الصورة اللغوية غالبا عندما تضاف الى العلاقة التعبيرية الأولى أى لفظ ــ معنى ، علاقة ثانية أو أكثر ، ولكن لا الشكل الكتابى كالخط الهيروغليفى أو الخط الكوفى ،

ولا الشكل الصوتى يعد صورة لغوية • فكلاهما فى واقع الأمر علامات لغوية ذات معنى واحد نستخدمها فى الاستعمال العادى بمعنى محدد مباشر وبسيط•

أما الاستعمال الأدبى البحت فهو يختلف عن هذا اختلافا كليا• انه يستوهب الصورة ويؤلف ارتباطات جديدة ويجمع بين علاقات ، ويعطى للفظ أبعادا لم تكن فيها مطلقا • غير أن الترجمة والتعبير بالصورة ليس محصورا فى الأدب فحسب بل ان الأدب والشعر بصفة خاصة لا يكون شعرا الا به •

والصورة كلها تقوم على أساس إدراك حسى وبصرى فى المحل الأول وتثير رؤية وتجربة وخبرة بصرية أو لمسية أو سمعية ••• فحسب • فالأهم من ذلك أن توقظ فينا الصورة الشعرية رؤى وتجارب فكرية منها ووجدانية ولعل أهم ما ينبغى للناقد فى منهجه لدراسة احدى القصائد ، أن يسجل جميع الصور الواردة فيها ، ويحاول البحث عن أجزائها ومنهج بنائها وانفعالاتها ، ويقدم التأويلات المتعددة التى تحتملها فى السياق • وعندما يبدأ النقد يخرج من الانطباعات السريعة الخاطفة ، ويرضى الناقد بهذا العمل العقلانى الشاق الضرورى ، سيجد ان الصورة التى يستخدمها الشاعر قد تكون أصيلة أو تقليدية ، عميقة أو سطحية ، باهتة أو قوية •

كانت وظيفة الصورة فى تراثنا الشعرى القديم وحتى فى تراثنا الشعرى الحديث ، هى إقناع القارىء وافغار فاه دهشة من قدرة الشاعر على الاتيان بما هو غريب وطريف ، وكانت الصورة تطابق العالم المادى وتتم فى حدود العقل والمنطق وبالتالى فهناك تناسب عقلى مع جميع قوانين المنطق والعالم المادى • فلا يمكن بحال من الاحوال أن تجد مثلا شاعر قديما يتكلم عن ناقة لها ثلاث أعين أو يتحدث على الاقل مثل شاعر شاب – من رواد غير العمودى والحر – عن ضحكة حبيبته وبالاصح ضحكة ممرضته فيقول :

كانت ممرضتى
ترشنى بضحكتها الصباحية

أو يقول مثل « لوركا » عن القمر فيقول انه :

يحصد ببطء رعشة النهر القديمة

نعم ! لم يقع هذا مطلقا ذلك أن الصورة عند شاعرنا العربى القديم وحتى المعاصر – أحيانا – لا تضيف على المعنى الثابت شيئا • اللهم أن تكون زينة طريفة • لأجل ذلك فانها لا تتصل بحركة النفس • كلا ! ولا انفعال

الوجدان ولا تنفذ الى بواطن الموجودات لتدرك طابعها الفريد أو تلمس نبضها الخفى • ان طابع المنطق الصارم هو الذى يطبع بناء الصورة عند القدماء وحتى عند المحدثين لا فى الشعر العمودى فحسب بل حتى فى الشعر الحديث المعروف بالحـر •

هذه دفقة ضوء سريعة حاولت أن أريقها على وظيفة الصـورة فى الشعـر القديم والحديث • دفقة سريعة أردت من ورائها أن أقول ان استخدام الصورة عند شعرائنا المحدثين من أصحاب غير العمودى والحر تختلف اختلافا كليا عن وظيفة الصورة فى الشعر العمودى والحر •

كانت الصورة ـ وما زالت ـ فى الأدب كما بينت تقوم على أساس التشابه بين الشىء والصورة • فاذا قلت على سبيل المثال ان فلانا ثعلب رواغ ، اتضح وجه الشبه على الفور • بيد ان الصورة الحديثة وأعنى الصورة الواردة فى شعر غير العمودى والحر ، أضحت أهم أدوات الخيال المنطلق اللامحدود • انها تقلل من التشابه بين الاشياء ان لم نقل تقضى عليه تماما ؛ وهى لا تعبر عن الترابط بينها بقدر ما تؤلف بين أشياء لا ترابط بينها فى المنطق أو العالم المادى •

ان أهم ما يميزها الآن هو التباعد العظيم بين الشىء والصـورة • وهـذه لعمرى طفرة واسعة جديرة بكل افتخار وكل تقدير •

« **لوحات من معرض الجريمة** » ، قصيد للشاعر الشاب الطاهر الهمامى ، وهو مبنى من الناحية الشكلية من أربع مقطوعات غير متكافئة فى عدد الأبيات ولا متساوية فى الزمان أو المكان أو الرؤية • فالمقطـوعة الاولى تتحـدث عن منكـوب :

الطـائـر الحـزيـن (1)
الـراجـع مـن خـرائـب الطـوفـان
ومـن انقـاض الطيـن
داهمـه الليـل
ظـل الطـائـر يـرفـرف
يـرفـرف بيـن الأغصـان
يبحـث عـن شـىء
عـن شـىء كـان •

---

(1) « الفكر » ـ العدد 4 ـ جانفى 1970 •

بقيت ثلاث مقطوعات لن استطيع للأسف أن أوفيها حقها خشية أن أكون قد أطلت بيد انى لا أغفل عن الاشارة الى ان القصيدة الموحية تنتهى ـ ربمـا بغموضها قبل اى شىء آخر ـ بأغنية :

يـا جـدار يـا جـدار
لـو تخـر آه لـو تنهـار
يـا عـدو الشمـس
يـا أصـم يـا أصـم
الى القـرار
الى القـرار

وجملة القول فالقصيد تتحدد فيه اللوحات كمقطع الزجاج الملون الساحر ٠

وأشير على القارىء أن يتناول أى قصيد من الشعر الحديث أو القديم ويقارن بينه وبين هذا النموذج من شعر غير العمودى والحر ٠ انه بلا شك سوف يعجب لهذه القفزة التى قفزها هذا الضرب من الشعر ٠ نعم ! سيعجب وهو القارىء الذى تعود على الفكر التقليدى وما يؤكده دائما من تلاؤم بين الصورة والواقع وتقارب بين التشبيه والمشبه وتطابق بين الفكرة والشىء ٠

وأحب أن أقف عند قصيد « نـداءات فى صبـاح المـدينة » لمحمد الحبيب الزناد ، وهى قصيدة تدل على موهبة شعرية وتنم على رؤية شعـرية حقـة ٠ ولعل الذى قربها أكثر الى نفسى،انها تضمنت الكثير من الاصطلحات والكلمات العادية التى تجرى على الألسن كل يوم ٠ غير انه تنبغى الاشارة الى ان هـذه التضمينات جميعها ترد داخل نسيج شعرى تحركه فكرة كبيرة وعاطفة صادقة٠

وثمة ملاحظة أخرى هى ان القصيدة دسمة ـ ان جازت العبارة ـ بالصور الشعرية لذلك أشير على القارىء الحصيف مرة أخرى أن يفعل نفس العمل الذى دعله فى قصيدة الطاهر الهمامى المذكورة أى يقوم بعملية مقارنة بين قصيد نداءات « فى صباح المدينة » وبين قصيد ـ أى قصيد كان عموديا أم حرا ـ ليرى بنفسه مدى الفرق الشاسع بين صورة واردة فى غير العمودى والحر وبين صورة واردة فى قصيد من الشعر العمودى أو الحر ٠

انبلج الصباح يا أشلاء الليل (1)
يا أشلاء

وكنت يا ليل فى نفسك الأخير
تباع وتشترى
« حوائج » قديمة
وساقط متاع وأشياء
فى أزقة مدينتى :

« روبا فيكا ، روبا فيكا »
با فيكا ، فيكا ٠٠ فيك فيك »

وأخيرا أهيب بشعرائنا الشبان أن يدركوا ان الواجب يدعونا الآن أن نعيش عصرنا ونفقه روحه ٠ وأستطيع أن أسجل بارتياح ان أغلب رواد فى غير العمودى والحر قد ساروا فى الطريق الذى أشرت خطوات تذكر ٠ وأكبر دليل قصيد « نداءات فى صباح المدينة » الذى أشرت اليه ٠ على ان من واجب كل الشعراء لا سيما رواد فى غير العمودى والحر ان يفهموا ان الطريق لا يزال مع ذلك طويلا وان الاغلال التى تقيدهم بها لغتنا من عاطفة مسرفة ، وخطابية وانشائية ، أغلال ثقيلة وليس من التجديد أن نتخلص منها ببساطة بل ان ندخلها فى تجربة عصرنا وواقعنا وان نتناول اللغة لأنها لغتنا قبل كل شيء بمزيد من الجسارة والشجاعة والمغامرة ٠

ع٠ ش٠

(1) « الفكر » ــ العدد 3 ــ ديسمبر 1969 ٠

أضواء الفكر

• ملتقى هواة الأدب ؟

لقد جرت العادة فى كل سنة ان تنظم الاذاعة والتلفزة الوطنية ملتقى هواة الأدب بالمنستير فى أواخر شهر جويلية· وفعلا فقد حدد تاريخه يوم 27 جويلية 1970 وكان من المقرر ان يستمع الحاضرون الى محاضرتين الاولى بعنوان : **أضواء على القصة التونسية المعاصرة للاستاذ البشير بن سلامة** والثانية عنوانها : **أدبنا الحماسى فى عصرنا الحاضر للأستاذ محمد اليعلاوى** ·

ولكن أعلن فى آخر وقت تأجيل هذا الملتقى بدون إشارة الى الاسباب · ونحن إذ نأسف لهذا التأجيل نذكر بأن سيادة الرئيس اشار فى ملتقى السنة الفارطة بأن يدعى للمشاركة فى « هواة الأدب » كل الأدباء والمثقفين وان يكون بمثابة الندوة الثقافية القومية فعسى أن يتم ذلك فى القريب باشراف السيد الرئيس ·

• المؤتمر الثقافى بالبندقية :

انعقد بالبندقية من 24 أوت الى 2 دسمبر تحت اشراف اليونسكو وبحضور ممثلين عن 87 دولة مؤتمر وقع فيه الخوض فى موضوع السياسات الثقافية من حيث مؤسساتها وجوانبها الادارية والمالية ·

ومثل الجمهورية التونسية فى هذا المؤتمر وفد ترأسه السيد الحبيب بو الأعراس وزير الشؤون الثقافية والاخبار الذى القى خطابا فى الندوة حدد فيه معنى الثقافة وبين المهمة الموكولة الى المسؤولين وهى تمكين كل فرد من ولوج الحياة الثقافية التى تخوضها المجموعة والمشاركة فيها · وبعد أن وضح شؤون الثقافة من الوجهة الادارية وصعوبة مواجهتها أكد ما يمكن القيام به عاجلا من تقييم للتراث الثقافى وإبراز لاهميته وربط الصلة بالثقافة العالمية والاشتراك معها فى العمل وبعث مراكز التنشيط وبثها فى البلاد وحفظ الحقوق الادبية والاجتماعية لرجال الثقافة ·

ثم تطرق الى حماية الثقافات القومية وما ينبع عن ذلك من مشاكل واقترح ان يكون الحل الجدى للمشاكل الثقافية بالتربية المستمرة التى تقتضى ضبط

المحتوى مع ضبط الاهداف وتفرض على بلاد كتونس ايجاد طريقة وسطى بين تقييم الماضى وادراج تراثه فى حياة المجموعة وبين الانفتاح على العصر ٠

وكان لخطاب الوزير التونسى صدى محمود فى المؤتمر ونوهت به بعض الصحف الاجنبية ٠

• المؤتمر الثامن للأدباء العرب ؟

استفدنا من المجلات الثقافية الصادرة ببعض البلاد العربية ان المؤتمر الثامن للأدباء العرب كان من المفروض ان ينعقد بدمشق فى أوائل سبتمبر المنصرم ونحن لا ندرى هل انعقد هذا المؤتمر فعلا أم لا ولا ندرى هل اتصلت الدوائر الرسمية ببلادنا بدعوة لتمثيل تونس فيه أم لا ٠ أما نحن – فى مجلة الفكر – فلم نتصل من ذلك بشىء ٠

• ندوة حول « صاحب الحمار » :

نظمت فى أواخر أوت الماضى بالمنستير اللجنة الثقافية المحلية ندوة حول مسرحية « صاحب الحمار » التى ألفها عزالدين المدنى وأخرجها على بن عياد وشاركت بها الفرقة البلدية للتمثيل فى مهرجان المغرب العربى للمسرح الذى انتظم فى أوائل أوت بالمنستير فنالت استحسانا كبيرا وأثارت فى نفس الوقت تساؤلات ومناقشات ٠

وقد أشرف على هذه الندوة الاستاذ محمد مزالى مدير هذه المجلة وشارك فيها الاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحريرها وعدد من المثقفين من الساحل وفى النهاية أجاب المؤلف والمخرج ومصمم الملابس الرسام زبير التركى على الأسئلة والتساؤلات ٠

ونحن اذ نبارك هذا العمل للجنة الثقافية بالمنستير نغتنم هذه الفرصة للتعبير عن إعجابنا بالمجهود الذى بذله الاديب عزالدين المدنى فى التأليف ونرجو أن يطرد إنتاجه ويساهم مساهمة كبرى فى النهضة الثقافية بالبلاد التونسية ٠

• المؤتمر الرابع للكتاب الافريقيين الاسيويين :

اتصلنا من الاديب يوسف السباعى بدعوة للمشاركة فى المؤتمر الرابع للكتاب الافريقيين الاسيويين الذى سينعقد فى « نيودلهى » عاصمة الهند خلال شهر نوفمبر القادم ٠

وعلمنا ان جدول اعمال هذا المؤتمر يحتوى على موضوعات هامة منها دور الاديب الافريقى الأسيوى فى مواجهة الامبريالية وكشف سياستها والعدوان الاسرائيلى الاستعمارى على البلاد العربية والتقليد والتجديد وغيرها ...

وعسى ان نتمكن من المساهمة فى هذا الملتقى كما ساهمنا سنة 1962 فى مثله بالقاهرة وعسى أن يكون وفدنا عند حسن الظن .

• شريط Z إنطلاق لموسم خصب :

أتذكر أنه عندما تم عرض شريط z فى باريس ، كتب إلى أحد أصدقائى قائلا : « يجب أن نشاهد هذا الشريط ثلاث مرات . المرة الاولى لفهم الاحداث ووضعها فى مجالها التاريخى والسياسى . المرة الثانية للاستماع فقط لموسيقى ميكيس تيودوراكيس التى وضعها خصيصا من سجنه لهذا العمل الضخم . والمرة الثالثة لنستمع للممثلة إيران باباس تبكى .. تبكى زوجها القتيل وتبكى الحرية فى العالم .. » عادت أمامى كلمات صديقى هذا وأنا أشاهد عرض الشريط فى إحدى قاعات العاصمة .

قال المخرج كوستاغافراس فى إحدى المجلات : « أنا لم أنو تصوير شريط سياسى ، بل عرض تحليل وشرح إغتيال سياسى .. كيف يدبر ؟ كيف ينفذ ، وكيف يسدل الستار على الأيادى الحقيقية الآثمة ؟ » إن حرف z يشير الى كلمة DZEi الاغريقية ومعناها : « انه يحيا » وتملك معنى الاصرار على الحياة والتشبث بالمبادىء العليا ، والجهاد من أجلها .

أراد غافراس أن يجعل شريطه هذا أكثر شمولا من مجرد رواية حوادث اغتيال النائب الاغريقى لامبراكيس التى انطلقت منها الفكرة . فهو انطلق فعلا من كتاب للكاتب فاسيلى فاسيليكوس لتقديم قضية بالغة الخطورة ، حاضرة أبدا فى عالمنا الحديث : قضية مشروعية التعبير عن الافكار والمبادىء ضمن أحد التيارات السياسية . هنا يتخذ المخرج موقفا دقيقا . يقول غابراس بنفسه فى استجواب لمجلة « جون أفريك » (أفريل 69) :

« أنا على يقين من عدالة قضية المثقف فى العالم ، لكنى أيضا أستنكر سلبيته الواضحة ففى حين تستدعى الحالة تحليلا أعمق ، يقتصر هؤلاء الجماعة على عقد الاجتماعات دون الاستعداد لما يمكن أن تنجر عنه من فوضى » .

نستطيع أن نقول أن الابطال الذين يحركون الاحداث ليسوا الرجال بعينهم ، بل الجماعات ومن وراء الجماعات المبادىء التى تحركهم . فالاطار العام للشريط

هو « البلاد » دون إشارة لاسم معين ، فيها جماعة حزبية تنتمى لحركة سياسية تقدمية كالشيوعية أو ما شابهها • وجماعة حاكمة يدعمها اليمين بقواه المعروفة من بسطاء ووصوليين ومتزمتين فى الدين • الجماعة الحاكمة تريد أن تقضى على الجماعة التقدمية ، والجماعة التقدمية تريد أن تفرض وجودها وتسمع صوتها بحرية • ويكون الصراع عاتيا عنيفا ، يذهب ضحيته رئيس الجماعة الاولى بأيدى المسؤولين عن « الأمن » •

ويقدم لنا غافراس بتحيز طبعا ، جدلية هؤلاء وهؤلاء •• المثقفون منشقون الى أنصار سلم وأنصار عنف ، والحاكمون يتصرفون باملاء من مصالحهم اليومية ومن أجل الحفاظ على مكاسبهم ومناصبهم • ويعتقد غافراس أن الوحيد الذى يتحمل أشنع الآلام ويتعرض للاضطهاد الذى لا ينتهى هو الشعب بكل طبقاته •

والشريط من جهة أخرى هو فحص (diagnostic) لمرض عضال تسرب الى بلدان العالم الثالث وأهم ظواهره وأعراضه :

- القمع بكل الوسائل ، قمع الحريات المشروعة •
- الوصول للحكم بطرق تزييف الحقائق وتخدير الجماهير •
- تناسى القضايا الحقيقية للأمة وخلق أشباه قضايا لتسلية الشعب • كل هذا موجود فى الشريط ، زيادة على طابعه النقدى أى الايجابى فى عرض الحوادث • ومما أضاف روعة كبيرة لهذا العمل ، الموسيقى التى وضعها الموسيقار الملتزم تيودوراكيس من سجنه ، ومساهمة إيف مونتان وإيران باباس فى إحياء مشاهد قد يكونان عاشاها فى واقعهما ، وحركية جاك بيران الصحفى الذى يعمل من أجل الحقيقة بجرأة نادرة وذكاء غريب ، مع المعية جون لوى ترانتينيان فى دور وكيل الجمهورية الصارم •

ملاحظة أخيرة : نعتقد أن إقبال الجمهور التونسى على شريط Z هو إشارة لسلامته ونضجه إذ يتحتم تقديم مثل هذه الأعمال الرصينة وتغذية جماهيرنا بالسليم من الانتاج العالمى •

ا• ق•

• مجلة « ثقافة » :

صدر فى أواخر شهر سبتمبر 1970 والمجلة تحت الطبع العدد الثالث (ربيع 1970) من مجلة « ثقافة » التى تصدرها دار الثقافة ابن خلدون وهو حافل كالعادة بالشعر والنثر •